

Amara West: Living in New Kingdom Nubia London, Neal Spencer, Anna Stevens and Michaela Binder (eds), Translated to Arabic by Hany Rashwan and Shezza Rashwan, London: The Trustees of the British Museum, 2014.

Rashwan, Hany

Citation for published version (Harvard):

Rashwan, H 2014, *Amara West: Living in New Kingdom Nubia London, Neal Spencer, Anna Stevens and Michaela Binder (eds), Translated to Arabic by Hany Rashwan and Shezza Rashwan, London: The Trustees of the British Museum, 2014*. British Museum Press, London. <<https://www.worldcat.org/title/amara-west-living-in-egyptian-nubia/oclc/891104665>>

[Link to publication on Research at Birmingham portal](#)

General rights

Unless a licence is specified above, all rights (including copyright and moral rights) in this document are retained by the authors and/or the copyright holders. The express permission of the copyright holder must be obtained for any use of this material other than for purposes permitted by law.

- Users may freely distribute the URL that is used to identify this publication.
- Users may download and/or print one copy of the publication from the University of Birmingham research portal for the purpose of private study or non-commercial research.
- User may use extracts from the document in line with the concept of 'fair dealing' under the Copyright, Designs and Patents Act 1988 (?)
- Users may not further distribute the material nor use it for the purposes of commercial gain.

Where a licence is displayed above, please note the terms and conditions of the licence govern your use of this document.

When citing, please reference the published version.

Take down policy

While the University of Birmingham exercises care and attention in making items available there are rare occasions when an item has been uploaded in error or has been deemed to be commercially or otherwise sensitive.

If you believe that this is the case for this document, please contact UBIRA@lists.bham.ac.uk providing details and we will remove access to the work immediately and investigate.

Download date: 03. May. 2024

The British
Museum

مدينة عمارة غرب

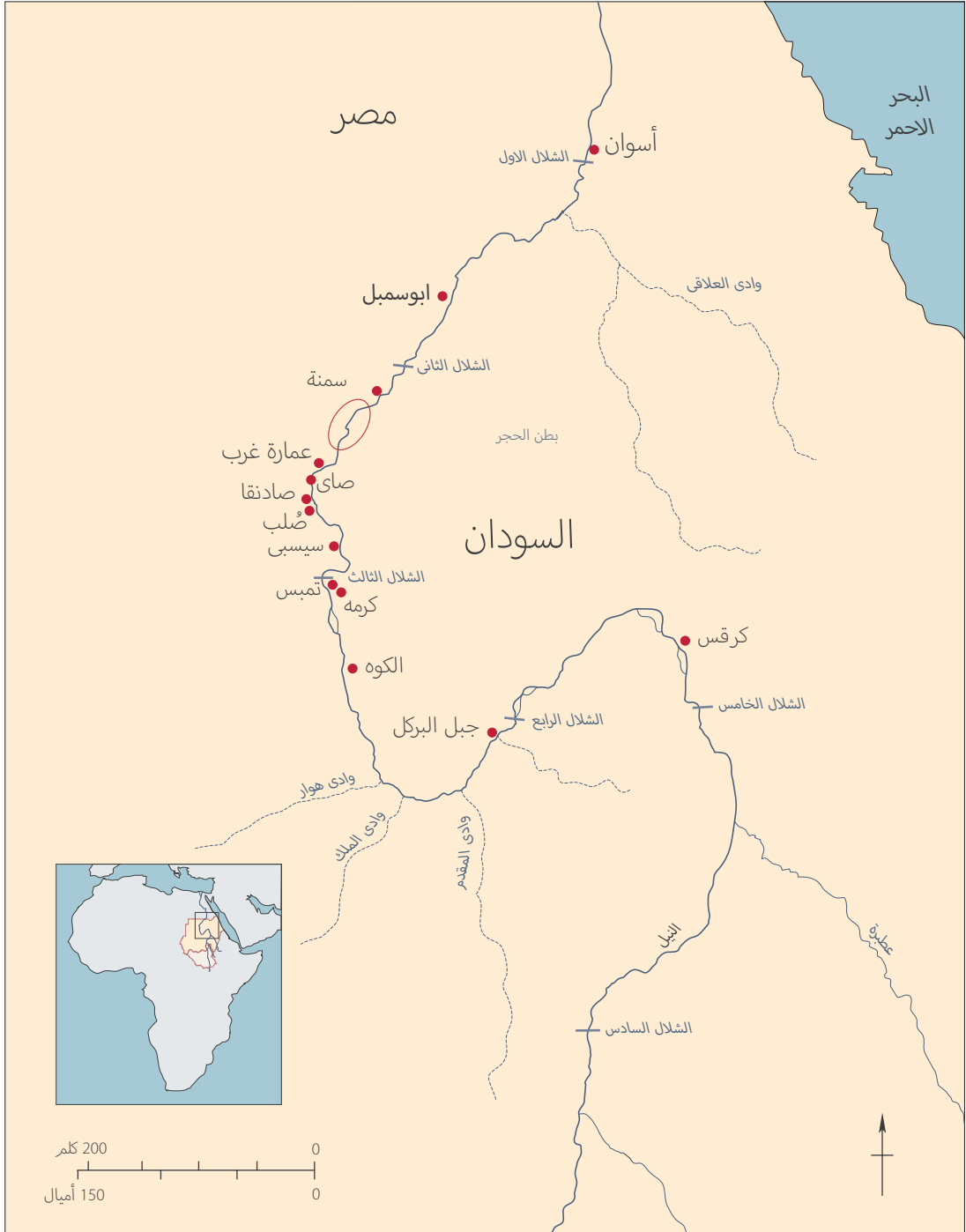
المعيشة في النوبة الفرعونية



نيل سبنسر، آنا ستيفنز، ميكالا بيندر

خريطة النوبة

توضح المواقع الاثرية الموضحة في الكتاب




مدينة عمارة غرب

المعيشة في النوبة الفرعونية

نيل سبنسر، آنا ستيفنز، ميكالا بيندر

المحتويات

2	مصر داخل كوش إنشاء مدينة فرعونية في النوبة
6	التسلسل التاريخي لمصر القديمة والنوبة
24	مجتمع متغير خلق مساحات جديدة للمعيشة
46	المعيشة في المدينة القديمة
68	الاعداد للخلود
86	المدينة القديمة أصبحت مجرد موقعا آثاريا
110	زيارة مدينة عمارة غرب
110	معلومات إضافية
111	شكر خاص



مصر داخل كوش

إنشاء مدينة فرعونية في النوبة
نيل سببسر





المقدمة التاريخية

الصفحة السابقة

منظر من الجهة الشرقية تجاه
انقاض مدينة عمارة غرب القديمة.

عندما توغلت الجيوش الفرعونية في أعالي نهر النيل داخل النوبة حوالي 1550 قبل الميلاد، عابرة بذلك مجموعة من المناظر الطبيعية المثيرة والتي تنوعت ما بين الشلالات والجبال والجزر النيلية والصحاري، أطلقت تلك الجيوش العنان لكتابة الفصول الأخيرة من تاريخ طويل ممتد ما بين صراع وتجارة وهجرة يربط كلا من مصر والنوبة، والنتيجة الواضحة لهذا الاحتكاك هي نشوء علاقات ثقافية مُتشابكة، تشمل تبادل وسائل المعيشة، أكثر من مجرد السيطرة العسكرية.

النوبة كمصطلح جغرافي تم إستعماله للمرة الأولى في العصر اليوناني الروماني، وهو يشير عامة إلى الإقليم الذي يمتد ما بين أسوان بجنوب مصر والشلال الرابع في السودان. مثلما شكل نهر النيل محورا هاما في رسم حدود مصر، كان له نفس الدور في رسم ملامح النوبة باستثناء المعوقات الطبيعية لمجرى النهر في بلاد النوبة. فمنطقة الشلالات التي تتناثر بها تلك النتوءات الجرانيتية الممتدة من النهر إلى الأراضي المجاورة جعلت استخدام القوارب للسفر أو استغلال ضفتي النهر في الزراعة أكثر صعوبة. مثل تلك المناطق تعرف في العربية تحت اسم «بطن الحجر». النهر نفسه ينعرج وينعطف في بعض المناطق منساجاً من الجنوب نحو الشمال أو من الغرب إلى الشرق و تتواجد بين مناطق الشلالات سهول واسعة غرينية هي بمثابة مناطق مثالية للزراعة يأتيها دعم من الطمي عالي الخصوبة عند كل فيضان سنويا. بجانب تلك الجزر النيلية الكبيرة التي قدمت لقاطنيها مساحات إضافية لإقامة المزارع، كما تم استخدامها أيضا في أوقات النزاع كملاذ استراتيجي عند الانسحاب، وهذه الجزر تُعدُّ نادرة الوجود في مصر. تنوع الصحاري التي تحيط بوادي النيل في النوبة بشكل هائل ما بين كثبان رملية متحركة وجبال راسخة أو مسطح مليء بالأحجار المتعرجة.

منظر لمنطقة «بطن الحجر» التي
تقع اسفل مجرى النهر من عمارة
غرب، يمتلئ نهر النيل في منطقة
النوبة بالنتوءات الصخرية التي
تجعل عملية الملاحة صعبة فيه.



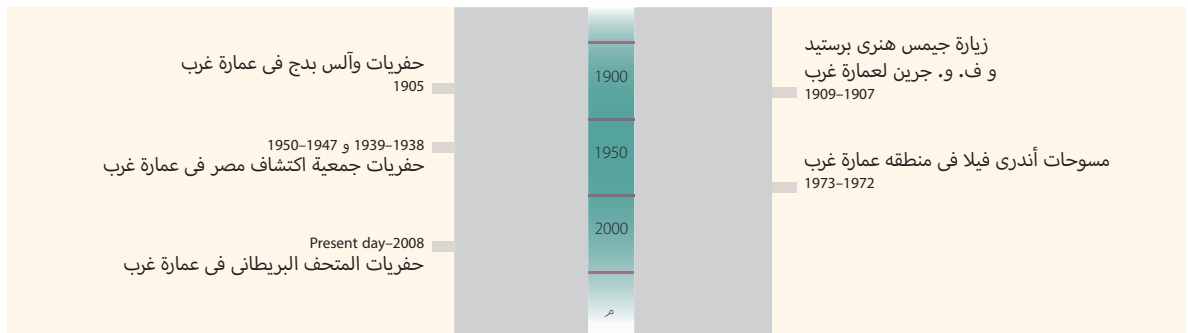
استوطن السكان المحليين كلا من وادي النيل وصحاري النوبة قبل آلاف السنين من ظهور مدينة عمارة غرب في المخطط العام للمنطقة، وتعدُّ المجموعة (أ) أقدم المجموعات البشرية التي يمكن تمييزها ثقافيا. تلك المجموعة التي استوطنت الجزء السفلي من النوبة في معظم الألفية الرابعة، حتى قبل أن يتم الاستحواذ عليها من قِبَل الدولة المصرية المتنامية في الجنوب. وعلى مر القرون المتتابعة، تم إعادة تشكيل الثقافات المحلية وتنظيمها. ومنذ حوالي 2400 قبل الميلاد تم العثور على ثلاث مجموعات بشرية في تلك المنطقة، ما يطلق عليهم اسم المجموعة (ج) بجانب حضارة كرمه و”البان قريف”. ورغم اشتراك تلك المجموعات في بعض السمات الثقافية والمناطق الخاضعة لهم، إلا أن كلا منهن يمكن تمييزها عن الأخرى. فالمجموعة (ج) ترجع بأصولها إلى ثقافات بلاد جنوب الصحراء، وتم التيقن من وجودهم فقط عند منبع الشلال الثاني لنهر النيل في الجزء الجنوبي من مصر. ارتبطت شعوب ”البان قريف” في الأغلب بالصحاري الشرقية، والتسمية الخاصة بهم مستوحاة من مقابرهم التي استخدموها في عملية دفن موتاهم، والتي تتميز بكونها غير عميقة ودائرية. أما ثقافة ”كرمه” فقد ارتكزت على مدينة كرمه الواقعه عند الشلال الثالث لنهر النيل. ولكن المناطق التي خضعت لنفوذها امتدت من الشلال الثاني حتى الرابع، وبذلك أصبحت فيما بعد صاحبة أقوى نفوذ سياسي فيما بينهم جميعا، وانبثقت من ثقافة كرمه مملكه ”كوش”، التي قامت بتهديد حدود مصر الجنوبية وحملت مبكرا فراعنة الدولة الحديثة على تثبيت جيوشهم أو الدفع بها داخل النوبة حوالي 1550 قبل الميلاد تقريبا بقرنين من الزمان قبل أن يتم تأسيس مدينة عمارة.

عادة ما يركز الباحثون على موضوعات الصدام ما بين المصريين القدماء وشعوب النوبة لكي يتم تعريف أسلوب التفاعل الحضاري فيما بينهم، وبلا شك فإن تاريخ الإقليم اشتهر بعدد من الصراعات. ولكن ما الدوافع التي وقفت خلف تلك الصراعات؟ وهل يمكن للصراع أن يستحوذ على تفاصيل القصة كاملة؟



التسلسل التاريخي لمصر القديمة والنوبه

ويشمل تاريخ عمارة غرب والحفريات الحديثة



علاقات متشابكة عبر آلاف السنين

لقد تم العثور على العديد من الآثار المصرية والتي تم تأريخها بحوالي 3800 قبل الميلاد – وبشكل خاص الأواني الفخارية – في الجزء الشمالي من السودان في مدافن السكان الأصليين الخاصة بثقافة المجموعة (أ). مما يشير إلى التفاعل التجاري والثقافي فيما بينهم. وفي وقت لاحق حوالي 3000 قبل الميلاد، كما توجد بعض النقوش التي خلفها ملوك الأسرة الأولى لمصر المتحدة تسجل بعثات أو حملات عسكرية داخل النوبة. وكثير من النقاش دار حول ما إذا كان غزو أو سيطرة مصر على النوبة يرجع إلى رغبة في التوسع والامتداد لتكوين الإمبراطورية، أو أنه ليس أكثر من تفكير عقلاني منفعي الغرض منه السيطرة على الموارد الطبيعية، مثل الذهب من تلال الصحاري، والمناطق الزراعية في السهول الواسعة. بجانب العديد من الأشياء التي يتم الحصول عليها عند التوغل أكثر في الجنوب مثل العاج سواء الخاص بفرس النهر أو الفيل، بيض النعام وريشه، كل هذه الأشياء كانت مطلوبة لدى الدولة الفرعونية بجانب القوى العاملة. رجع حورخوف حاكم الجزء الجنوبي لمصر حوالي 2250 قبل الميلاد من بعثة إلى النوبة بأكثر من 300 حمار مُحَمَّل بالخور والعاج والزيت وجلود النمر وأنياب الأفيال وعصيّ التحطيب وغيرها. وخلال كل من الدولة القديمة (2575–2134 قبل الميلاد) والدولة الوسطى (2040–1640 قبل الميلاد) قامت الدولة الفرعونية ببناء مدن متكاملة التخطيط من وقت لآخر على جانبي نهر النيل في النوبة. البعض منهم تم إنشاؤه على أرض مسطحة للسيطرة على الأراضي الزراعية والبعض الآخر على النتوءات الصخرية لمراقبة التنقل في الصحراء والنهر. توجد مجموعة من البرديات

منظر لموقع الحفريات الخاصة بمدينة «كرمة»، عاصمة الدولة الكوشية.



منظر للملك رمسيس الثاني وهو يحارب فرق عسكرية أجنبية، من بينهم النوبيون في معبده الكائن ببيت الوالي.



والتي تعرف باسم "تقارير مراقبة سمينة" تعكس تفاصيل كثيرة لما يتعلق بتنقل الأفراد حول الصحاري؛ "دورية الحدود التي رحلت لكي ترصد جانب الصحراء القريب من الحصن... رجعت لكي تخبرني. لقد اقتفينا أثر 32 رجلا وثلاثة حمير".

تم تمثيل العلاقة بين مصر والنوبة في النقوش والرسوم على جدران المعابد الفرعونية على أنها إحدى الثقافات التي خضعت تماما لمصر. فهناك نقش على إحدى اللوحات التي كانت متواجدة على حدود حصن سمينة يقول فيها الملك سنوسرت الثالث عن النوبيين: "إنهم شعوب لا تستحق الحب، فهم أشقياء، ضعاف القلوب". ولكن بالطبع فإن أسلوب تصوير عقيدة الملك الفرعون باستخدام "الخدعة الدعائية" لا يجب أن يسيطر على فهمنا للعلاقة الحيوية المتنامية بين الشعبين (بشكل لا يسترعي الدهشة!) فهي بالتأكيد لا تمثل انعكاسا حقيقيا للواقع التفاعلي ما بين الشعبين. فعلاقات الشعوب تختلف عن علاقات الحكام، فالأدوات التي تم صنعها بواسطة أهل النوبة والمنتجات التي كانوا يتاجرون فيها شكلت جزءا كبيرا من حياة المصريين بشكل عام. فقد تم العثور على العديد من أواني الطبخ الفخارية النوبية في مدينة "الفتنين" جنوب مصر (قرب أسوان) والتي يرجع تاريخها على أقل تقدير إلى الدولة القديمة، كذلك تقلد الكثير من الجنود النوبيين العديد من المناصب الهامة وتلقوا ترقيات في الجيش المصري (المدجا). ومن المحتمل أن يكون هؤلاء هم شعوب الصحراء النوبية "البيان قريف"، التي تم العثور على مقابرهم المميزة أيضا في مصر حول "الفتنين" وكذلك في شمال البلاد. أما مقابر المجموعة (ج) النوبية - فاطني وادي النيل النوبي - تم العثور عليهم أيضا حول مدينة طيبة (الأقصر).

تَقَلَّبَ بَدْوُلُ السَّاعَةِ

كرمه وإعادة الغزو المصري

عند بلوغ دولة "كوش" قمة الازدهار حوالي 1600 قبل الميلاد، اتخذت هذه الدولة الإفريقية الكبرى مدينة "كرمه" كمنطقة تركز لها، تلك المدينة التي سُيِّدَت منذ ما يقرب من ألف عام قبل بزوغ كوش. وقد تم استعمال كوش كمصطلح في النقوش المصرية القديمة ليعني به المصريون النوبة العليا، وفي بعض الأوقات أجزاء من النوبة السفلى والصحاري المجاورة. تواجدت العديد من المظاهر المعمارية المصرية في مدينة كرمه، وذلك أثر اندماج كل من العقيدة والفن مع ثقافة السكان الأصليين. فظهر ذلك في معابدهم المميزة، وقاعات السماع الدائرية، وتحصين أساليب الدفن المتنوعة الخاصة بالحكام (الكوم الترابي).

وعند بوهين في النوبة السفلى، كشفت النقوش التي ترجع إلى 1600 قبل الميلاد أن عددا من المصريين قد اتخذوا حاكم كوش بمثابة زعيم أعلى لهم. عندما انقضت القوات الكوشية على مدن مصر العليا. ومن الجدير بالذكر أن الوجود القديم لمصر الفرعونية في كوش أصبح مهددا بالخطر مع سيطرة حكام الهكسوس (غزاه من الكنعانيين) على مدن مصر الشمالية، وخاصة عندما طلبوا ضم قوات عسكرية من كوش لمهاجمة الدولة الفرعونية المتمركزة في مدينة طيبة.

الملك الفرعون "كاموس" ولاحقه "أحمس" فادا القوات الطيبية تجاه الشمال. وأعادوا توحيد مصر العليا والسفلى مرة أخرى. وتحت قيادة أحمس اتجهت القوات المصرية أيضا نحو منبع النهر، جنوبا بداخل النوبة. وبالتدريج أعاد احتلال كوش مرة ثانية منذ حوالي 1550 قبل الميلاد. استغرقت عملية إعادة الاحتلال بضعة قرون على ما يبدو. حدثت حملات عسكرية أخرى حوالي 1500 قبل الميلاد تحت قيادة كل من الملك "أمنحوتب الأول" و"تحتمس الأول"، ومع ثورة النوبيين ضد حكم الملك "تحتمس الثاني" والملكة "حتشبسوت"، بدأت خمسة قرون من الحكم الفرعوني المتواصل في كوش.

نادرا ما تقوم الحفريات بالكشف عن أي أثار للمعارك التي دارت بالمنطقة، أو على الأصح حصيلة الفوضى التي أعقبتها. في النوبة تم إنشاء مدن مصرية جديدة في أماكن استراتيجية. كرمه نفسها كانت شاهدة على تصميم مدينة مسورة دكي قيل بما حوت من معابد مصرية. وتم إنشاء مدن مصرية أخرى ارتكز تخطيطها على المعابد عند صلب وسيبسي وصاي. وقد تم بناء العديد من تلك المدن المصرية فوق مستوطنات كوشية تم الاستيلاء عليها أو بالقرب منها، حيث تم العثور على الأواني الفخارية الكوشية وأساليب الدفن التي تميزهم عن غيرهم. غير أن البعض من تلك المدن المصرية قد تم بناؤها بالقرب من مصادر المعادن الثمينة، مثل تلك التي تواجدت بالقرب من رواسب كبيرة من صخر الكوارتز الحامل لمعدن الذهب عند سيسبي. وفيما يتعلق بإنشاء أثار مصرية معمارية ضخمة يُمَثَّل تصميم المعابد التي تقع أمام الجبل المقدس في منطقة البركل أقصى امتداد للدولة المصرية في الجنوب. ولكن تقدمهم نحو منبع النهر لم يتوقف، فعلى بُعد 1300 كيلو متر من الحصون الجنوبية لمصر عند أسوان تواجدت نقوش كثيرة مؤرخة ما بين حوالي (1500-1425) قبل الميلاد عند منطقة كرقس تدعي أن الحدود الإقليمية للنهوذ المصري قد وصل إلى هذه المنطقة بواسطة القوات الخاصة بكل من تحتمس الأول والثالث، كما أن هناك عددا من موظفي رمسيس الثاني قد قاموا بكتابة نصوص أخرى على نفس اللوحة المصنوعة من صخر الكوارتزيت.

ولكي تصبح الإدارة المصرية قادرة على حكم مثل تلك الأقاليم الشاسعة، قام المصريون بتعيين نائب للفرعون من النوبة (عُرف باسم ابن الملك الكوشي). سجلت العديد من الآثار النوبية أسماء هؤلاء النواب بشكل تسلسلي. وتحت قيادة هذا النائب تواجد اثنين من المسؤولين: أحدهما كان يقوم بدور (قائم مقام كوش النوبة العليا) والآخر (قائم مقام واوات النوبة السفلى). وبالطبع فإنه من المفترض أن يكون كل منهما مسؤول عن التحكم وإدارة المنطقة الخاضعة له. كما أن هناك عددا من المسؤولين الآخرين الذين تقلدوا مناصب هامة، مثل حكام المدن، ناظر الأراضي الجنوبية، وعدد من الوظائف الكهنوتية والعسكرية والإدارية التي تشمل قسما إداريا للكتابة، البيروقراطية الإدارية المصرية تواجدت مع كل المدن الفرعونية التي تم إنشاؤها في النوبة.

حُكم الرعامسة

التغيير في النوبة

عادة ما يصف المؤرخون عصر الدولة الحديثة (1550-1070 قبل الميلاد) على أنه وقت ازدهار الإمبراطورية المصرية. ولكن لم تخلو مصر نفسها من بعض الاضطرابات أيضا خلال تلك الفترة. الفرعون الذي وُجِدَ بمعبود أُوحد المُلُكَب بإخناتون الذي لم تتعدَّ فترة حكمه بضعة أعوام قليلة - ربما يكون هو والد الملك توت عنخ أمون - هو الذي مهد في النهاية لظهور أسرة جديدة من الملوك الفرعانية: رجال من عائلات ذات تاريخ عسكري.



يُعدُّ رمسيس الثاني أشهر ملوك تلك الأسرة. ولكن أباه ستي الأول هو من قام بتحفيز السياسة المصرية للتدخل في النوبة.

ففي العام الثامن من حكم ستي الأول (حوالي 1299 قبل الميلاد)، قام جيش الفرعون بحملة عسكرية استغرقت سبعة أيام ضد النوبة في تلك المنطقة التي عرفت قديماً باسم "أيرم" والتي تقع حول ست آبار صحراوية. أقامت تلك الحملة العسكرية في عماره غرب لوحة تذكارية سجلت ذلك النصر، ووصفت كيف كانت "قوات الأرض الأجنبية" أيرم" تدبر للثورة، فهل كانت المعركة مجرد مناوشة خفيفة أو قمع لانبعات ثورة مضادة؟ فقد تم أسر 45 رجلاً و 49 طفلاً و 66 خادماً و 420 رأساً من المواشي. وعلى كل حال فخلال تلك الفترة تم إنشاء مدن جديدة في عكشه وعماره غرب، فيما بين الشلال الثالث ودال. وفي فترة حكم ابن الملك ستي الأول رمسيس الثاني التغييرات المتلاحقة أصبحت ملحوظة في النوبة السفلى مع بداية إنشاء عدد من المعابد الضخمة التي أقيمت بغرض تدعيم الحكم الفرعوني على النوبة، ويعتبر معبد أبو سمبل أعظم تلك التغييرات الواضحة. معظم المعابد الأخرى تقع الآن تحت مياه بحيرة النوبة، وعلى النقيض فإن المائتي عام اللاحقة شهدت نشاطاً محدوداً في المدن المصرية الأقدم مثل سيسبي و صلب وصاي. الدوافع خلف ذلك التحول في السياسة الملكية تجاه الحدود الجنوبية ليست واضحة، ولكن يمكن ملاحظة سياسة التغيير أيضاً في الحدود عند ليبيا وبلاد الشام في ذلك الوقت. ظل ثراء النوبة بالموارد الطبيعية محطاً اهتمام الخبط الخاصة بفرعنة مصر: الملك ستي الأول أمر بأن يتم تنصيب لوحة تذكارية كبيرة على تل صغير من الحجر الرملي تطل على نهر النيل عند ناوري، التي تقع على بعد حوالي 100 كيلو جنوب عماره غرب. أوضح ذلك النص الطويل عدة تفصيلات توصف المنتجات والبضائع القادمة من النوبة إلى مصر، وكيف تم تخصيصها بالكامل لمصلحة المعبد الجنائزي الخاص بالملك في أبيدوس، والذي يبعد عنها مئات الكيلومترات في الشمال.

تأسيس عماره غرب

أحد التماثيل الصغيرة الجنائزية (أوشابتي) الخاصة بالملك «ستي الأول» (حوالي 1290-1279 قبل الميلاد) والذي تم في عهده إنشاء مدينة عمارة غرب.

على الشمال

صورة جوية في (اتجاه الغرب) تظهر مدينة عمارة غرب القديمة مقابلة لجزيرة أرنتي.

الملك ستي الأول هو من قام باختيار تلك الجزيرة النيلية الصغيرة لإنشاء مدينة جديدة، وتبلغ مساحتها حوالي 800 متر طولاً و 300 متر عرضاً، وتطوق الضفة اليسرى من نهر النيل، وقد أطلق عليها المصريون "بيت من ماعت رع (بيت ستي الأول)" وهي معروفة لدينا الآن تحت أسم عماره غرب. تم تكوين هذه الجزيرة بواسطة الطبقات المتراكمة من طمي النيل القديم، الملقى على قاعدة صخرية من أحجار الشست، ويبدو أن هذه الجزيرة كانت بمثابة اللوحة البيضاء الخالية في أيدي مهندسي التخطيط؛ حيث لم يتم التعرف على أي برهان مُقنع يؤكد وجود أي استيطان قبل فترة حكم الملك ستي الأول. وقد قدمت تلك الجزيرة العديد من المنافع للجانب المصري؛ حيث كان من السهل الدفاع عنها والتمركز بها لمراقبة حركة المرور في النهر، وكان لديها مصادر وفيرة من المياه العذبة والطعام - وبخاصة السمك - ولكن المصريين قاموا باستغلال أرض الجزيرة الخصبة نفسها، ومع هذا فهناك عدة تساؤلات ما زالت تطرح نفسها؛ لماذا لم يكتف المصريون بتلك المدينة المصرية الأقدم والمُسماة صاي والتي تبعد 13 كيلو متر فقط عن جزيرة عماره غرب؟ هل إنشاء هذه المدينة ارتبط بألوية جديدة لدى المصريين تتعلق بالإشراف على حركة المرور عبر الطريق الصحراوي المؤدي إلى واحة سليمة؟

لقد اتبع المعماريون والكتبة المصريون المكلفون بإنشاء مدينة عماره غرب نماذج مألوفة لديهم من العصور المبكرة من عصر إمبراطورية الرعامسة، مثل مدن "زاوية أم الرخام" و "كوم فرين" التي تم بناؤها بجانب حصون مصر الشمالية الغربية، إلى جانب مدينة "عكشه" في النوبة. تلك المدينة الجديدة كانت أصغر نسبياً من المدن التي تم إنشاؤها خلال الأسرة الثامنة عشر؛ حيث تبلغ مساحة منطقة الأسوار في مدينة عماره غرب (11,660 متر مربع) بينما تبلغ في مدينة سيسبي (45,000 متر مربع) وفي صاي (33,320 متر مربع). فتلك المدينة المخططة على مساحة 108 × 108، والتي يمكن وصفها بكونها تكفي لتضم ملعبين لكرة القدم فقط، كانت أركانها محددة بواسطة سور دائري مصنوع من قوالب الطين يبلغ سمكه (2.3-2.8 متر).



الكشف عن المدينة المطمورة و تنسيق الموقع

صوفي هاي

وخلف أسوار المدينة، إستطاع المسح الجيوفيزيائي اكتشاف منشآت إضافية، وقام بتقديم تحليل سريع. تتناثر مجموعة من المباني عند الجدار الغربي للمدينة - والتي يمكن أن يتم تحليلها على أنها قرية كبيرة - كمقابل صريح للتنظيم المكثف المتواجد داخل جدران المدينة، عادة ما يشير متخصصو الحفائر إليها على أنها الضاحية الغربية. قياس التدرج لا يقوم بالتفريق بين المراحل، ونادرا ما يكشف مباني مدفونة على عمق تحت بعضها، ولذلك فإن الحفائر دورها مطلوب في تلك المرحلة.

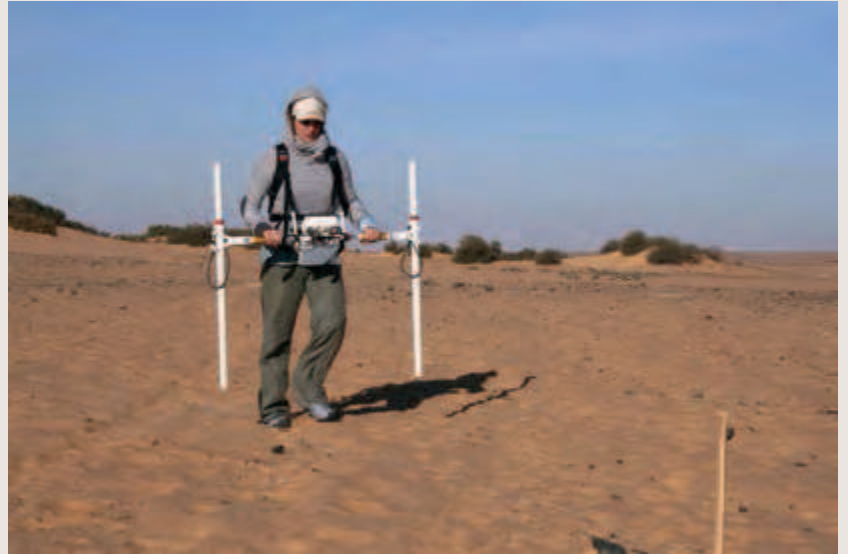
تم تعميم استخدام قياس التدرج في اثنين من الجبانات الموجودة بالمدينة. تعتبر الأنماط الخاصة بتوزيع أعمدة المقبرة وتنظيمها واضحة للغاية في الجبانة (C)، كما استطاع تحديد غرف الأهرام الأكثر تعقيدا، والتي تقع حول أعمدة الدفن في الجبانة (D). يمكن لمتخصصي الحفريات عند التعرف على تخطيط مثل هذه الجبانات أن يدركوا حجم وتوزيع المقابر في المكان، ويعقدوا المقارنة لتحديد أي الأماكن تأتي في أولوياتهم في الحفر والتنقيب. فربما كان التركيز قديما منصبا على اكتشاف أكبر جبانة دفن والتي بالفعل تم العثور عليها في عماره غرب وهي تعتبر الآثار الجنائزية الفريدة المبنية من الطوب الأخضر على قمة فوق تلك القناة النيلية الجافة.

ورغبة منا في التعرف على شكل القنوات النيلية القديمة وعمقها حول مدينة عماره غرب، قمنا باستخدام أسلوب الاستشعار عن بعد: عندما تخترق ذبذبات الرادار العاليه الأرض يقوم المحس بقياس كيف تعكس الذبذبات معالم الأثر تحت الأرض. وباستغلال الآلاف من تلك المقاييس، يمكن بناء نموذج ثلاثي الأبعاد لإعادة تجسيم الملامح الخاصة بالقناة في جوف الأرض. وتشير المقاطع العرضية الخاصة بالقناة على أنها قناة ضيقة عميقة وكانت تتجه تدريجيا نحو المدينة.

أتاح لنا المسح الجيوفيزيائي أن نتفهم أبعاد وهندسة موقع المدينة القديمة وما تحويه من مدافن، قبل أن نضرب أي مجرفة في المسطح الرملي الذي يغطي مدينة عماره غرب. ويعتبر أسلوب قياس التدرج أحد الوسائل التي تقوم بقياس التغييرات الدقيقة في المجال المغناطيسي للأرض الناتج عن تواجد بقايا الدفن. وبواسطة تتبع مؤشرات الرسم البياني لكل نقطة كظلال رمادي والتي تعكس بدورها انحدارات مغناطيسية مختلفة، يمكن لنا أن نستخرج خريطة قابلة للقراءة توصف تفاصيل المدينة القديمة كما تقع تحت الرمال. فعلى سبيل المثال أصبح ذلك الحائط (100 متر × 100 متر) الذي يحتوي على عدة دعائم من الوجه الخارجي الخاص به، وبه برج خارجي في كل ركن = واضحا للرؤية بشكل ظاهر في الرسم البياني، الذي أشار إلينا بوجود تشوهات مؤكدة في المبنى الذي استُخدم الطوب الأخضر في بنائه، مشيرا لذلك بخطوط من اللون الأسود. وفي داخل أسوار المدينة يحتل المعبد الركن الشمالي الشرقي، وقد أظهرت المؤشرات أن حوائطه المبنية من الحجر الرملي لا يوجد بها أي تشوهات (خطوط بيضاء).

الفناء الأمامي للمعبد يبرز من سور المدينة تجاه قناة قديمة مطمورة. تشير بوضوح المساحات الخالية المنبسطة في الرسم البياني إلى مجرى القناة النيلية القديمة (للمزيد أنظر ص 90-91). وغالبا ما يتم استعمال مبانٍ من الطوب الأخضر ممتدة في خطوط متشابهة لتحديد التصميم الداخلي للمدينة. ومع ذلك هناك مجموعة من المباني تقع في المربع الشمالي الغربي تمتد في محاذاة مختلفة عن باقي الاتجاه السائد في المدينة؛ وهي المجاورة السكنية رقم (E13) (انظر الفصل التالي، ص 24-45).

في عمق التفاصيل



مدخل قاعة الأعمدة المسقوفة
في عمارة غرب. مصدر الصورة:
الجمعية المصرية للاستكشاف.



ومُغطّي بطبقة من الملاط، وتم تدعيمه بعدد من الحصون والأبراج في الأركان. بعض من قوالب الطين في السور كانت مختومة بخاتم الملك سيتي الأول. كما تواجدت أيضا عدة ممرات علوية داخل الأسوار يتم الصعود إليها بواسطة سلالم من البوابة الغربية، هذه الممرات استُخدمت كمنقاط مرتفعة للحراسة. هناك نص ملكي منقوش في مدينة طيبة بواسطة الملك "مرنبتاح"، ابن الملك رمسيس الثاني. يصف المناخ المثالي للمعيشة في تلك المدن الحصينة قائلا: "رجال المعارك المدرعين مطمئنين، فقط شروق الشمس هو ما يجعل رجال الحراسة يستيقظون، المدجا (الحراس) نائمون، أجسادهم تبدو مسترخية".

تم تجهيز أسوار المدينة بثلاثة بوابات: إحداها تواجه الغرب والأخرى تواجه قناة نهرية صغيرة في الشمال، والثالثة كانت مخصصة لدخول زوار ومسؤولي المعبد. كانت البوابة الغربية مصنوعة من الحجر الرملي وقد تم طلاؤها بألوان زاهية، وتعكس السيطرة الثقافية للمصريين على النوبة، حيث تم تزيينها بأسماء الملك رمسيس الثاني، وفي المعبر تم تصوير الفرعون وهو يحارب ضد النوبيين في (أيرم) ورجوعه ظافراً إلى مصر. النصوص المصاحبة تشير إلى 2000 رجل من الأعداء تم قتلهم بجانب 5000 أسير. وبالطبع فإن أي عابر للبوابة سواء أكان في استطاعته قراءة اللغة المصرية القديمة أم لا كان سيترك لديه الانطباع بأنه يقع تحت سيطرة المصريين.

معبد آمون رع

تم تخصيص ربع مساحة تلك المدينة المسوّرة تقريبا للمعبد المصري، وهو ما قامت بالكشف عنه حفائر جمعية الاستكشاف المصرية عامي 1938-1939. فقد تم بناء ذلك المعبد باستعمال الحجر الرملي الأبيض المحلي. وكان المعبد ما زال قائما على ارتفاع يبلغ 2.3 متر عندما كشف عنه "فايرمان" وفريقه البحثي عام 1938. المعبد يغطي مساحة 43.5 × 18 متر، هذا بجانب فناء يبلغ مساحته 26.5 × 20.7 متر ممتدا خلف سور المدينة، ومظلا على قناة نهرية صغيرة في شمال الموقع. الفناء كان مُعبّدا ومظلا بالأشجار التي وضعت جذورها داخل حفر. كما احتوى الفناء على لوحيتين تذكاريّتين من رمسيس الثاني، إحداهما تسجل زواج الملك



من الأميرة الحيثية، والأخرى نص بوضوح الملك وهو يستقبل البركة والنعم خلال أحد الأعلام من المعبد بتاح.

يتم الدخول إلى المعبد نفسه من خلال بوابة ضيقة تم قطعها في سور المدينة، وتم تزيينها بأسماء الملك رمسيس السادس (1151-1143 قبل الميلاد) بجانب اسم نائبه في النوبة رمسيس نخت، بلا شك التصميم الداخلي للمعبد سيعدُّ مأثوفا لهؤلاء الذين قاموا بزيارة معابد مصر في ذات الفترة، فهو يتكون من رواق اصطفت الأعمدة فيه على كل جانب، وتم تعبيد أرضيته بخليط من الحجر الرملي وقطع صغيرة من حجر الشست الأسود. الأسوار كانت مزينة بنص هيروغليفي هائل يرجع إلى العام السادس، اليوم الأول من الصيف، يوم 25 من حكم رمسيس التاسع

الملك رمسيس الثاني يقدم باقة من الزهور إلى المعبد «آمون رع» كما هو مصور على أحد أعمدة معبد عمارة غرب. الرسم منقول بواسطة الجمعية المصرية للاستكشاف.

أسفل

أسماء المدن النوبية المحتلة، وكل منها معلق بصورة لأسير نوبي. جزء من الزخارف الموجودة على قاعة الأعمدة الخاصة بالمعبد. الرسم منقول بواسطة الجمعية المصرية للاستكشاف.

(1126 قبل الميلاد). ويحتمل أن يكون بمثابة نص تذكاري للاحتفال بانتهاء تزيين المعبد، تقريبا بعد 175 سنة بعدما تم بناؤه. ويعد هذا النص آخر النصوص الملكية المعروفة لنا في النوبة العليا. قريبا ستفقد مصر سيطرتها السياسية على كل الإقليم.

وعندما يتجول المرء داخل المعبد سيجد قاعة بهو الأعمدة، وهي مساحة مكتظة بثلاثة صفوف من الأعمدة وكانت في الأصل مُسقفة، ومزخرفة بمنظر يستدعي إلى الذهن هيئة المستنقعات الأولى في وقت خلق الكون. تضم العناصر الزخرفية في كلتا القاعتين مناظر للفرعون وهو يقدم القرابين للمعبودات، ولكن أيضا بمصاحبة بعض المناظر التي صورت انتصار الحملات العسكرية الخاصة بالفرعون، مثل السيطرة على إحدى



المدن السورية. وقد زينت صور مجموعات من الأسرى – الأسويين والليبيين والنوبيين – الجزء السفلي من الحوائط، كتأكيد ضمنى لرغبة مصر في السيطرة على تلك الأراضي الأجنبية المثيرة للفوضى.

تقع خلف قاعة الأعمدة غرفة واسعة، بها سلالم تصل إلى السقف، هذه الغرفة تحوي ثلاثة هياكل تم تصميمها بجانب بعضها البعض. الهيكل الرئيس، من المفترض أنه مخصص لهيئة معبود الدولة آمون رع، وتبلغ مساحته 3.0 × 5.7 متر. هذا الهيكل احتوى على تمثال المعبود الرئيسي للمعبد الذي يتلقى اهتماما يوميا من مُريديه، ربما كان يتم الاحتفاظ بهذا التمثال في قارب أو مكان مُقدّس، موضوع على قاعدة في وسط الحجرية. كما تضمن المعبد معبودات أخرى مثل ثلوث شلال الأول للنبيل بالقرب من أسوان (خنوم – أنوكت – سانت) هذا إلى جانب المعبودة ”موت“ زوجة آمون رع والمعبود ”خنسو“ ابن آمون رع.

تفترض الصور الأرشيفية التي تم التقاطها خلال الكشف عن المعبد عام 1939 أن اللون السائد داخل الأثر كان الأبيض الضارب إلى الصُفرة، ولكن الحفائر سجلت أيضا وجود اللون الأصفر والأزرق على الجدران، وأيضاً بعض الرقاقات الذهبية التي تم استعمالها في بعض الزخارف المحفورة. المعابد الفرعونية لم تكن بالأماكن التي يحتشد أو يتجمع فيها العامة، بل كانت بمثابة الأماكن الرسمية التي يمكن للناس مقابلة المعبودات فيها. وبجانب الكهنة الذين كانوا يمارسون طقوسهم اليومية وينظمون الاحتفالات، فإن الأشخاص العاديين كان باستطاعتهم تقديم التماثيل واللوحات كندور في هذا المكان؛ فقد ترك لنا أحد الكتّاب ويُدعى ”أمون ام حات“ تمثالا مصورا نفسه في وضع خشوع واضعا يديه على فخذه. كما توجد داخل رواق الأعمدة نقوش تسأل الزائرين بتقديم قربانهم على مائدة القرابين الخاصة بالمعبود آمون رع، كما وجدت لوحة صوّرت رجلا يدعى

لوحة مصنوعة من الحجر الرملي
تصوّر المعبود «أمون رع» ككباش.
تم إعادة استخدامها كغطاء
لإناء مدفون في أرضية المنزل
رقم (E13.9).

على الشمال
كتف الباب الخاص بمقر إقامة
النائب والذي تم نقشه باسم
نائب كوش ساباو-خو. الرسم
منقول بواسطة الجمعية المصرية
للاستكشاف.



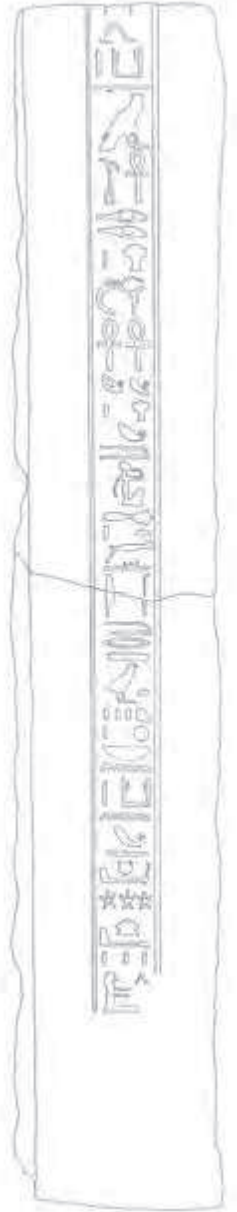


منظر لعملية تسجيل الزخارف
الموجودة على المعبد في موسم
1938-1939. مصدر الصورة:
الجمعية المصرية للاستكشاف.

”نب جفاو“ يقوم بتقديم القرابين إلى قارب آمون المقدّس. وفي مكان آخر على جدران المعبد نجد نقوشاً أخرى قام بكتابتها نائب كوش. هذا إلى جانب بعض النقوش الجرافيتية المكتوبة بالخط الهيراطيقي المُختصر. يقع المعبد داخل منطقة مقدسة محددة بسور. والذي احتوى أيضا على عدد من المخازن صغيرة الحجم. هذه الغرف الضيقة، ذات الأسقف المقوسة والأبواب الحجرية. كان من المفترض أن يتم تخزين القرابين وبرديات الأرشيف والأدوات التي كان يقوم الكهنة باستعمالها وممتلكات المعبد فيها. عثرت بعثة الجمعية المصرية للاستكشاف (EES) في أحد المخازن على أكثر من 400 ختم طيني عليها أسماء كل من الملك تحتمس الثالث والملكة حتشبسوت الذين حكما قرابة 150 عاما قبل أن يتم إنشاء مدينة عماره غرب. مثل هذه الأختام ربما كانت مُلحقة بأرشيف المُكاتبات والمعاملات أو تخص صناديق وأوعية استخدمت لحفظ المقننات الثمينة (للمزيد أنظر صفحة 49). وربما كانت الحجرات الأخرى المتواجدة داخل حرم المعبد مستخدمة كأماكن تعبد فرعية وإقامة الكهان.

مكان للإقامة يليق بالنائب

يعتبر مكان إقامة النائب الرسمي أحد أهم المباني في المدينة بعد المعبد. وهو يقع داخل البوابة الغربية. تم الكشف عنه في عامي (1947-1938). يغطي هذا المبنى مساحة تقدر بـ (24.5 × 29) مترا فهو بذلك أكبر حجما من أي منزل آخر في الموقع. يحيط به سور يبلغ سمكه (1.1 متر). ويبدو أن تخطيطه الرئيسي لم يتغير خلال عقود من التغيير والتجديد؛ فهو يحتوي على عدة غرف مُعبدة بالبلاط. وبه اعمده حجرية يتيجان على شكل سعف النخيل. وعدة أبواب. وفناء خارجي يبلغ مساحته أكثر من (10 أمتار × 10 أمتار) إن إكتشاف مجموعة من الأجزاء الجانبية للأبواب (كتوف) والعنابات التي تم تزينها بنقوش من أجل نائب كوش قادت الحفريات لافتراض أن ذلك المبنى كان بمثابة المقر الرسمي لإقامة النائب. الذي يمثل أعلى رتبة رسمية في كوش الفرعونية. جزء من المبنى كان منزلا. والجزء الأخر كان يحوي قاعة للقاءات الرسمية. ومن هؤلاء النواب الذين تم التعرف عليهم النائب ”سوبك هاو“ الذي عمل تحت قيادة الملك سبتي الأول. والنائب ”باسر“ الذي خدم تحت إمرة الملك رمسيس الثالث.



قراءة تعاليم آمون ام حات في النوبة العليا

ريتشارد باركينسون & نيل سنسر

مثل تلك المقتطفات المنسوخة عادة ما يتم اعتبارها على أنها تمارين في الكتابة؛ حيث يقوم الكتبة بإعادة نسخها عدة مرات كجزء من مرحلة متقدمة من التدريب الخاص بهم داخل مصر. هذه هي الأمثلة الأولى التي تبرهن أن عليّة القوم من الكتبة كانوا يقومون بمثل تلك التمارين خارج الحدود المصرية، وفي هذه الحالة تحديداً داخل المستعمرة المصرية في النوبة العليا. يعتبر هذا النص في حد ذاته إحدى النصوص التي تمثل تطلعات وإهتمامات الطبقة العليا الحاكمة بمصر، كما ان النص يتضمن بين طياته العديد من الأشارات التي توصف التوبيين على أنهم إحدى الأُمم الخاضعة للحكم المصري. وبالطبع تعد مدينة عمارة غرب - والتي يمكن توصيف نشأتها بكونه ارتبط بقرار ملكي لرعاية الشئون والاهتمامات المصرية داخل العمق النوبي - المكان الأنسب لقراءة ونسخ مثل تلك التعاليم التي يفترض ان أحد الملوك المُنتميين لإحدى الأسرات المبكرة قد قام بتأليفها، وربما وجد الإداريين المصريين العاملين بعمارة غرب سببا مقنعا في قراءة هذه القصيدة التي تحذر من الثقة العمياء في الآخرين كإعكاس لتواجدهم في العمق النوبي، او ربما تم إستعمال النص كحافز للقيام بعمل ما على إعتبار ان النص يعد أحد النصوص الكلاسيكية القديمة التي حرص المصريين أنفسهم على تداولها جيل بعد جيل. السؤال الأخير الذي يطرح نفسه الآن كيف تلقى القراء والناسخين من ذوي الثقافة او الأصول النوبية مثل ذلك النص الذي يتمحور إهتمامته حول قضايا تثبتت الحكم الملكي الداخلي وإخضاع البلاد المجاورة للحكم المصري؟ وكيف كان رد فعلهم؟

تم العثور على ثلاثة مقتطفات من تعاليم الملك آمون ام حات في مدينة عمارة غرب كلها مكتوبة بالخط الهيراطيقي - الشكل المُختصر من الهيروغليفي والمُفضّل في كتابة النصوص الإدارية والأدبية - يعدّ هذا النص أحد أهم النصوص الأدبية الكلاسيكية ذات اللغة الشاعرة في مصر القديمة، القصيدة جاءت على لسان الملك المتوفى آمون ام حات الأول (1991-1962 قبل الميلاد) متحدثاً إلى ابنه وخليفته على العرش سنوسرت الأول، ناصحاً إياه أن يتخذ الحذر من الثقة العمياء بالناس؛ لأنّ منهم من سيقابل الإحسان بالكران. وبشكل لافت للنظر؛ تحتوي هذه القصيدة على وصف مُفضّل لعملية اغتيال الملك آمون ام حات. وعلى الرغم من أن تاريخ تأليف هذه القصيدة غير واضح - وربما ترجع إلى أوائل الدولة الوسطى أو أواخرها أو حتى أوائل الدولة الحديثة - إلا أنها كانت من النصوص المفضّلة للنسخ على الأقل منذ 200 عام قبل أن يتم تأسيس مدينة عمارة وست.

تم العثور على اثنتين من النسخ بواسطة الجمعية المصرية للاستكشاف (EES) داخل حرم المعبد، والثالثة (SNM 33307) عُثِر عليها في طبقة المخلفات الخاصة بأحد المنازل في الضاحية الغربية الذي يحمل رقم (E12.10) (للمزيد انظر ص 36-37). تمت كتابة تلك الأخيرة على قطعة من الفخار الخاصة بأحد أوعية التخزين الكبيرة، واستخدم الكاتب الحبر الأسود المنقط باللون الأحمر في كتابتها؛ لكي يوضح نهايات أسطر القصيدة. تحوي هذه النسخة المقطوعة التي يتوسل فيها الملك المتوفى إلى حلفائه من الرجال أن يتحذروا معركة عظيمة من أجل الثأر ممن قاموا باغتياله.





المُون والسيطرة: ما الدور الذي كان منوطا لمدينة عماره غرب القيام به؟

بخلاف تقديم الطاعة والولاء للمعبودات في المعبد، وكونه المكان الأساسي لإقامة أهم مسئول رسمي في مدينة عماره غرب من الذين كانوا يعيشون في هذه المدينة قديما. وماذا كانوا يفعلون؟ كل مجهوداتنا لفهم التاريخ المبكر للمدينة كانت متوقفة على حالة الحفظ الخاصة بالمباني التي أنشئت في فترات لاحقة؛ فنحن ببساطة لا نستطيع أن نرى بشكل كافٍ كيف كانت المباني الأكثر قدما. حيث إن الحفريات لم تكشف بشكل منهجي الطبقات المعمارية اللاحقة. وبالرغم من ذلك يبدو واضحا أن جزءا كبيرا من المدينة المسورة كان مخصصا في الأصل لمبانٍ ومؤسسات رسمية، تحوي طاقة استيعابية معقولة للتخزين. هذه المباني اتخذت شكل سلسلة طويلة من الحجرات الضيقة ذات الأسقف المقوسة، وتواجدت في المنطقة الجنوبية من المعبد، وأيضا عند الركن الشمالي الغربي من المدينة. تم تسوية المرحلة الأولى من أراضي تلك المباني في تاريخ مبكر عن بناء المدينة، حتى وصلت في سمكها إلى أقل من طبقة أو اثنتين من الطوب. ويمكننا فقط أن نتخيل الضوضاء والأثرية وكثافة الحركة عندما تم تهديد المدينة لبنائها. تم استعمال قطع صغيرة من الحجر الرملي والشبس في العديد من تلك المخازن لعمل أرضية صلبة. قد يعكس هذا البذخ في التكلفة أهمية الأدوات والبضائع المُخزَّنة فيها وقيمتها، وربما قصد من ذلك الإقلال من التأثير السلبي للقوارض والحشرات. فهناك كتف باب عُثر عليه بعد أن تم إعادة استعمالها مرة أخرى في بيت ينتمي للأسرة العشرين وفيها نقش يحمل هذا اللقب "ناظر الشونة المرزوجة حور حوتب"، وهو لقب رسمي يناسب مدينة تعج بأماكن تخزين السلع. فبخلاف الأختام الطينية التي تم ذكرها آنفا، فقد تم اكتشاف "أوستراكا"، وهي شقافات خزفية تم استعمالها في الكتابة، تحمل ملحوظة تسليم وتسلم تعكس نوع السيطرة التي تمتع بها أشخاص مستقلين مثل حور حوتب.

التواجد المبكر للكهنة وناظر الكهنة كمستوطنين لهذه المدينة يمكن التعرف عليه من النقوش المتواجدة على العمائر، ولكن بخلاف ذلك نحن نجهل بشكل كبير من كان يعيش برفقتهم في ذلك الوقت. وبالطبع ربما يكون هذا نتيجة لعدم تبني المجتمعات النوبية لنظام كتابة معروف لنا حتى الألفية الأولى قبل الميلاد، وهو ما يعد سببا في عدم العثور على أي اسم للنوبيين الذين عاشوا في مدينة عماره غرب.

الباحثة الأكاوية السودانية شادية عبد ربه تقوم بالكشف عن فرن للفخار من داخل الجدار الشمالي للمدينة، ذلك الجزء من المدينة الذي يشكل المراحل الأولى من استخدام المدينة للسكن.



إحدى المشاكل التي تقابلنا في فهم العصور المبكرة لمدينة عماره غرب - تلك المدينة التي تم تخطيطها بواسطة موظفي الفرعون - هي وجود عدد قليل جدا من المنازل. ومن المحتمل أنه قد تم استخدام أسلوب إقامة الحمامات العسكرية المتراص في المربع الجنوبي الغربي من تلك المستوطنة المُحاطة بسور، ولكن هذه المنطقة مازالت في حاجة إلى المزيد من الحفريات المباني التي تم العثور عليها - حتى الآن - فتفترض أن هذه المدينة كان يعيش بها عدد قليل من السكان حوالي 200 فرد. ولا نستطيع التيقن عما إذا كانت هناك عائلات عاشت هنا في السنين الأولى من عمر هذه المدينة الجديدة أم لا.

لم تكن تعتمد مدينة عماره غرب منذ نشأتها الأولى على أي مؤن تأتيها من الخارج. سواء من مصر أو حتى من المدن المجاورة. فقد عُثر على أحد الأفران الصغيرة الذي تم استعماله في صنع الفخار، وهو بذلك يُعدُّ أحد أهم المعالم المبكرة التي تم اكتشافها

في المدينة، والذي كان يعتلي مباشرة المسطح الطبيعي للجزيرة. فهل نرى هنا أحد بقايا السكان الأوائل، وهل استخدام هذا الفرن كان لتلبية احتياجاتهم من الأوعية الفخارية الخاصة بالطبخ أو لتقديم وحفظ الطعام؟ بعض الناس كانت لديهم رغبة ملححة في اقتناء مقتنيات غير مألوفة داخل منازلهم، مثل فخار بلاد الإغريق القديمة الميسنويين (للمزيد أنظر ص 62-63). ويبدو أن الحصول على مثل هذه البضائع الثمينة خلال القرنين التاليين قد تضاعف للغاية.

سيطرة سياسية وتبادلات ثقافية

شهدت بداية القرن الحادي والعشرين اهتماما متجددا في الكشف عن مستوطنات المصريين ومدافنهم ومقابرهم في النوبة، لاسيما في مدينة كرمه (دقي قيل)، ومدنتي صاي وسيسي. وبشكل متنامٍ، أصبح من الواضح أن العلاقة بين مصر والنوبة كانت ثرية بالتفاعل والتأثير المتبادل أكثر من مجرد تلك النظرة السطحية التي تربط العلاقة بين الحاكم والمحكوم. فقد كان التأثير المصري ينعصر في تلك المدن الفرعونية، ويتضاعف كثيرا خارج حدود هذه المدن. كما افترضت إحدى الدراسات التي قامت بعمل مسح أثاري للإقليم عند الشلال الثالث، فقد تمكننا من أن نلقي الضوء على الكثير من الأسئلة الرئيسية المتعلقة بالحياة في الزمن العتيق باستعمال أحدث الوسائل الأثرية والتحليل العلمي.

كيف كانت الحياة في النوبة الفرعونية؟ من الذي كان يعيش في هذه المدن؟ كيف قام الناس هناك بخلق وتغيير مساحات المعيشة الخاصة بهم؟ كيف تعاملوا مع أساليب إعداد الطعام؟ وكيف تفاعلوا مع البيئة الطبيعية المحيطة بهم؟ ما نوع المعتقدات الروحية التي يمكن أن يتم اقتنائها؟ كيف تغيرت هذه المدن على مر الأزمنة؟ ولماذا تم إهمالها في آخر الأمر؟

على اليمين

جزء من نص يشير الى تسليم وتسلم بضائع، وهو مكتوب بالخط الهيراطيقي على أحد أجزاء الفخار.

أسفل

مساحة للتخزين تقع في وسط المنطقة (E13). يمكننا رؤية الجزء السفلي من السقف المعقود في يسار الصورة.

والسؤال المتضمن في كل تلك الأسئلة السابقة عادة ما يتعلق بالهوية الثقافية ومدى التفاعل بين سكان المدينة الفرعونية والإقليم. عادة ما نقودنا الأدلة القادمة إلينا من النوبة. وأيضاً من عدة أماكن أخرى كان لها نصيب مشابه في الخضوع تحت حكم الاستعمار. إلى مثل تلك التساؤلات المتعلقة بتصنيفات الهوية الصارمة "كمصري أو نوبي"، ذلك الفصل الذي كان مفضلاً أيضاً لدرجة المبالغة في رسوم المعابد الفرعونية. فعندما تم إنشاء مدينة عماره غرب حوالي عام 1300 قبل الميلاد. كان الأفراد الذين انتقلوا للمعيشة هناك ما زالوا يقطنون في إقليم يقع تحت السيطرة السياسية لمصر لمدة لا تقل عن 250 عاماً قبل ذلك. المدى المتاح للتفاعل الثقافي. والتهجين. إعادة التفسير. وخلق هويات مضطربة وضبابية كان هائلاً. تقلد بعض من عليبة القوم النوبيين مع المصريين كبرى الوظائف الإدارية داخل الدولة المصرية. مثل حاكم "نيه خت" في منطقة سرية بالنوبة السفلى. بعض أساتذة المصريين افترضوا في خضم دراستهم لأسلوب دفن الأمتعة داخل المقابر مع المتوفى في النوبة. ذلك الأسلوب المفضل لدى المصريين. وبخاصة خلال الأسرة الثامنة عشر إن النوبيين قد تم تمصيرهم خلال فترة الدولة الحديثة. حتى مع تلك المغالاة في اعتبار الثقافة النوبية أقل من مثيلاتها المصرية. لكن الحفائر والبحوث المستمرة قامت بتغيير مثل تلك المفاهيم. بعد أن استخرجت الفروق الدقيقة التي كانت بالتأكيد متواجدة في هؤلاء الذين عاشوا في بلاد النوبة تحت سيطرة الدولة الحديثة؛ حيث اختار الأفراد والعائلات والمجموعات الأخرى عدة مظاهر من كلا الثقافتين النوبية والمصرية داخل منازلهم. حتى في أسلوب إعدادهم للطعام أو تجهيز المتوفى. يبحث هذا الكتاب في مثل تلك التساؤلات من خلال استعمال الأدلة المُستخرجة من مدينة عماره غرب.



ما بعد الصحراء

آنا ستيفنز

أفضل للتاريخ المحلي للمدينة. كيف كان يتم إستغلال الصحراء خلال فترة استيطان المدينة نفسها؟ وما نوع الحضور المصري المتواجد في نطاق هذه المنطقة من النيل في أوقات متفرقة؟ ولكي نحظى بإجابات مدعمة ببراهين، قمنا بعمل مسح للصحراء التي تقع خلف المدينة المسوّرة مدعوم ببرنامج منظم للعمل الميداني، اتبعنا فيه الخطوات التي اتخذها الأثري أندريه فيلا في عام 1970.



لم تظهر مدينة الرعامسة عماره غرب للوجود من العدم، ولم توجد كجزيرة منعزلة عن المحيط الذي حولها. فعندما تم إنشاء عمارة غرب، تم اختيار أجزاء من الحواف الصحراوية شديدة الانحدار كأماكن لدفن الموتى. ففي أحد الأمثلة تم دفن الموتى في عماره غرب جنباً إلى جنب في مداخل تعود إلى فترة مبكرة من العصر الكوشي الوسيط. أحد هؤلاء عليه القوم الذين تم دفنهم في الشمال من تلك الجبانة، هو كاتب المعبد المسمى «هاتياي» والذي حفر اسمه وألقابه على أحد صخور الشست فوق مدفته. فهل كان أحد قاطني المدينة، أم ربما وافته المنية أثناء مروره على عماره غرب في طريقه إلى مكان آخر؟ النقوش الخاصة به موضوعة بخط ظاهر وسط عدة رسومات لماشية ذات قرون طويلة، مذكرة إيانا مرة أخرى بكيف كان التواجد الفرعوني في هذه المنطقة يعد التفاعل الأكثر حداثة مع مشهد الصحراء شديدة النشاط حوله.

يهدف البحث الخاص بنا إلى وضع المدينة في سياقها التاريخي، بما يحمله ذلك من طيات التوجه نحو فهم





إناء فخاري مزخرف، وخرز زجاجي وجعران. كما عُثِر على أحد الأختام الحجرية غير المعتادة كانت تحمل اسم آمون ام حوتب، وهو اسم مألوف جدا خلال فترة الأسرة الثامنة عشر. تلك الآثار تبعث بقليل من الشك لما يتعلق بتواجد المصريين في تلك المنطقة؛ فتلك المواد لم تكن بقايا تبادل تجاري. فهل يحتمل أن تلك المستوطنة قد تم استخدامها كمخيم لأحد بعثات التعدين أو أن سكان الجزيرة كانوا يقومون باستغلال معظم المساحات المتاحة في الجزيرة لنشاطات أخرى، كمكان للإشراف على مسالك الصحراء والنيل؟ وربما تم توظيفها كنقطة اتصال أمامية للمستوطنة التي ترجع أيضا للأسرة الثامنة عشر والأكبر مساحة منها عند المنبع والمعروفة بجزيرة صاي.

ولكن ما زالت هناك معضلة أمامنا. فيبدو أن تلك اللقى الفخارية مؤرخة بفترة حكم الملك تحوتمس الثالث (حوالي 1425-1479 قبل الميلاد)، ذلك الفرعون الذي حكم حوالي 150 عامًا قبل أن يتم بناء تلك المدينة المسورة نفسها. فماذا حدث في الوقت الذي يفصل بين إنشاء الجزيرة وذلك التاريخ؟ هل قام المصريون بإخلاء المنطقة من سكانها تماما، حتى يعودوا إليها مجددا بعد عدة أجيال لاحقة؟ وإن فعلوا ذلك فلماذا؟ فربما نعثر بين البروز الصخرية ورمال الصحراء على بقايا المستوطنة التي تعود إلى عصر لاحق من الأسرة الثامنة عشر، وبذلك نعثر على بعض الأجوبة لمثل هذه التساؤلات.

ومن الوهلة الأولى، عثرنا على إشارات قليلة تدعم وجود نشاط بشري خلف المدينة المسورة والجبانات الخاصة بها. تنحصر العلامة الوحيدة لوجود أي نشاط حيوي في تلك الصحراء المجدية، التي يتخللها من حين لآخر بروز صخري في آثار قوافل الجمال في طريقها إلى مصر. ولكن مع التدقيق كثيرا، بدأنا في ملاحظة قطع صغيرة متناثرة من الفخار، وفئات ناتجة عن سحن حجر الكوارتز. وعند تلك النقطة ظهرت لنا خطوط من الأسوار الحجرية، وحصون دائرية (كومة ترابية). وتدرجيا، قامت تلك الصحراء الثرية بالكشف عن مناقبها لنا؛ فكانت هذه الآثار بقايا مستوطنات، بعض منها يُعتَبَر أكثر قدما من مدينة عماره غرب بأكثر من مئات أو آلاف السنين.

تم فحص مساحة كبيرة تحوي عدداً كبيراً من اللقى المتناثرة في أوائل عام 2014، تشمل تلك اللقى الأثرية رقائق حجرية وأجزاء من أسوار تم بناؤها من الحجر الجاف، وتقع تحديدا على بعد حوالي 2 كيلو متر شمال المدينة الريمسوية، على حافة قناة نيلية جافة مطمورة. ويتبدى لنا وجود نوع من الاستيطان في أحد المواقع المُسمّاة (R-65) والذي يمكن تأريخه - بالنظر إلى أسلوب صناعة الفخار الذي تم العثور عليه - إلى الفترة الممتدة من العصر المبكر إلى وسط الأسرة الثامنة عشر. وجد الفخار المصري والنوبي المُستخدَم في الأغراض المنزلية مختلطا مع طبقات رمادية تحتوي على عظام حيوانات، ويُعتَقَد أنها مخلفات ناتجة عن تلك المستوطنة. وقد تم العثور أيضا على جزء من

مجتمع متغير و خلق مساحات جديدة للمعيشة نيل سبنسر





الصفحة السابقة
الحفائر الخاصة بالمنزل رقم
E13.5 في يناير 2013.

اعتادَ الزمانُ أن يطمس ما يحدث من تغييرات، ولكن الآن أصبح من الواضح أن مدينة عمارة غرب التي تم إنشاؤها سنة 1300 قبل الميلاد – المدينة التي قمنا بوصف تخطيطها في الفصل السابق – تغيرت معالمها من حين لآخر. حتى بالنسبة للزائر الذي قد يقوم بزيارتها بعد 100 سنة من نشأتها أو 200 سنة. وقد بدأنا نتفهم جيدا الديناميكية الخاصة بطبيعة التغيير في تلك المدينة المصرية الواقعة في كوش بالنظر إلى كيف تغيرت معالم أحد ضواحي المدينة خلال قرنين من الزمان. أو كيف تم استحداث مناطق سكنية جديدة خارج المدينة المسورة حوالي 1200 قبل الميلاد. هذا بالإضافة إلى أنه يمكن أن نتعرف على الدوافع التي شجعت الأفراد والعائلات على الإقدام على عمل مثل تلك التغييرات في مدينة عمارة غرب نفسها. تلك المدينة التي تقع بعيدا عن مراكز القوى الخاصة بالدولة الفرعونية.

ظهور أحد الضواحي

تعتبر تلك المنطقة التي تم تسميتها (E13) بواسطة المنقبين في القرن الحادي والعشرين من أكثر أجزاء المدينة التي نالت الكثير من الاهتمام والدراسة، وهي مجموعة من المباني تقع بالقرب من مقر النائب في الجزء الشمالي الغربي من المدينة المسورة. وبالطبع ربما ليس في مقدرتنا أن نتعرف على هؤلاء الذين قُدِّر لهم أن يسيروا في تلك الأزقة الضيقة، أو حتى الذين كانوا ينظرون إلى بعضهم البعض من الأسطح في هذه الضاحية، ولكننا نعرف عن يقين أن هذه المنطقة لم تنشأ خصيصا لتصبح منطقة سكنية. ومثل عدَّة مناطق في تلك المدينة المسورة، تتخذ المباني التي تم إنشائها في فترة مبكرة شكل المجمعات الواسعة (E12.6) التي تحوي بدورها على مجموعة من المساحات التي تشبه الممرات، ومن المرجَّح أن تحتوي أيضا على مناطق للتخزين يتم التحكم فيها بواسطة القائمين على شؤون الإدارة في المدينة. وبالقرب من المنطقة الشمالية يقع أحد أفران الفخار الذي اتخذ من الجدار الشمالي للمدينة مصدًا للرياح التي قد تعوق عمله، وربما كان يتم وضعه في فناء مفتوح على الهواء الطلق. تم تسوية أرضية المنطقة وإعادة تخطيطها في تاريخ مبكّر من عمر المدينة، كما حدث في المناطق الأخرى. ربما تم ذلك خلال حكم الملك ستي الأول أو رمسيس الثاني. فقد احتفظت بشكل عام على مساحات لتخزين البضائع والسلع، فهي تحوي على

بوابة المنزل E13.10 المصنوعة
من الحجر الرملي، والتي تم
تسويتها بالأرض عند بناء المنزل
اللاحق E13.3.



الأقل ثلاثة مخازن طويلة ذات أسقف معقودة وأبواب حجرية. الغريب في الأمر، ان هذه المباني الجديدة كانت مبنية على زاوية 45 درجة بشكل مختلف عن التخطيط العام لمباني تلك المدينة المسورة، ذلك القرار من الصعب أن يتم تفسيره، فقد كان له أثر عظيم على المباني التي أُقيمت لاحقًا في هذه المنطقة، وهو ما يزال واضحًا حتى اليوم.

وفي إحدى المراحل، تم بناء أحد المباني على مساحة صغيرة بجانب الحافة الشمالية من مجمع المخازن، وقد عثر على الباب الحجري الخاص به مزججًا على الأرض، ويبدو أن هؤلاء الأشخاص الذين قاموا ببناء هذا المنزل الجديد تركوه ولم يفضلوا استعماله منذ أكثر من 3,200 سنة مضت. ولكن خلال النصف الثاني من الأُسرة التاسعة عشرة – حوالي 1250 قبل الميلاد – تم تطوير هذه المنطقة لتصبح ضاحية سكنية بكل ما تعنيه الكلمة، وبشكل غير مماثل للنموذج المبكر الذي تم تخطيط المدينة وفقًا له، والذي احتوى على نماذج متساوية ومتناسقة من المباني، أصبح التغيير منذ ذلك الوقت يلعب دورًا هامًا بشكل متصاعد، وبلا شك كانت تلك التغييرات من نتاج القرارات التي اتخذها الأفراد والعائلات قاطني المنطقة.

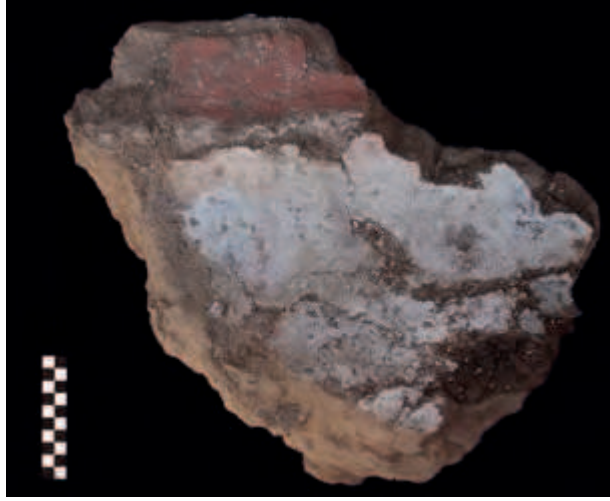
تم بناء أحد المنازل (E13.7) فوق اثنين من المخازن التي كانت تقع بالقرب من مقر النائب. ويتميز ذلك المنزل بوجود غرفتين كبيرتين تم طلاء الجدران الخاصة بهما بالطين (لياسة)، والجزء السفلي منها تم طلاء الجدران فيه باللون الأبيض مع عمل إطارٍ باستخدام خط أسود يتجه بدوره إلى أعلى ليؤطر الباب المقوس الرابط ما بين الغرف. تم تزويد الجدار الذي يقع في الغرب بمصطبة طويلة يبلغ طولها حوالي 3.6 مترًا. تُعتبر المصاطب من مميزات المنازل الأصغر حجمًا، وعادة ما كان يتم استخدامها في الحياة اليومية؛ إما للجلوس أو للنوم عليها وربما أيضًا لاستقبال الزوار في المناسبات الرسمية، إن العثور على العشرات من قطع قوالب

غرفة في المنزل رقم E13.7
تحتوي على جدران مطلية باللون
الأبيض. جدران المنزل E13.4.



نموذج لعنصر معماري ملون على شكل حلية ربع دائرية من المنزل رقم E13.7.

أسفل
التنقيب في الممرات الممتدة في جنوب المنطقة E13.



الطين يقود الي الافتراض بتواجد كوة ملونة في الجدار الذي يعلو المصطبة. والتي تم تدميرها لاحقا عندما تم هدم المنزل وتسويته بالأرض. تم تجديد تلك الكوة عدة مرات بزخارف ملونة. اسْتُخِدم فيها اللون الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر والأبيض. يستدعي التصميم الخاص بها مثلاتها في العناصر المعمارية الخاصة بالمعبد المصري. ربما يعد ذلك إشارة بأن تلك الكوة قد تم استعمالها لتؤدي غرضًا دينيًا. فهل كانت تلك الكوة مكان لوضع

لوحة صغيرة أو صورة مقدسة؟ ما تبقى من المنزل يؤكد أن الغرف الخاصة به كانت تحاكي التصميم الخاص بالمخازن القديمة. ولكن تم تقطيعها حتى يتم تقليل المساحات الخاصة بالممرات. وبات من الواضح في بعض المساحات أن السقف المقوس الخاص بالمخزن القديم قد تم الاحتفاظ به. وفي مرحلة بناء المنزل (E13.7) قام البنائون بهدم جدران أحد المخازن الكبيرة (بعض منها بلغ ارتفاعه أكثر من مترين و60 سنتيمتر سُكْمًا) وتم إعادة توظيف المساحات الموجودة. وهو ما يثير بدوره عدة تساؤلات. لماذا لم يعد هناك حاجة لاستعمال المخزن؟ هل تم خفض السلع والبضائع القادمة من مصر أو المدن المجاورة أو ربما تم منعها؟ هل كان للملأك الجُدُّ الأهلية الكاملة في عمل تلك التغييرات؟ مثل تلك التساؤلات ربما تظل بدون أجوبة. وعلى كل حال. يمكن اعتبار الناس الذين قاموا ببناء المنزل (E13.7) – وربما تكون العائلة التي سكنت فيه – بشكل أو آخر من الرواد. فبشكل غير مقصود. أطلقوا العنان لاستيطان تلك الضاحية بمنازل متوسطة الحجم لاحقا.





الازقة، العمل والصناعة

في حوالي 1200 قبل الميلاد تم تطوير شبكة الممرات التي تحيط بالمنازل الخاصة بالمنطقة (E13). وفي الواقع كانت تشكّل الحدود الغربية والجنوبية للمنطقة. ظلت هذه الشبكة قيد الاستعمال خلال 150 عاما التالية. كانت تبلغ مساحة تلك الممرات في بعض الأماكن أقل من متر واحد، ولابد أنها كانت ظليلة ولكن في مثل تلك المساحات الضيقة لم يكن من السهل لشخصين أن يمرروا معا في الوقت نفسه. وهو ما يذكّرنا بكيفية تشابك المجتمع بشدة مع بعضه البعض. ومن الجدير بالذكر أنه لم تكن هناك أي ميادين مفتوحة على الهواء الطلق أو ساحات أو حدائق تفصل ما بين المنازل. وامتلأت بالتدرج تلك الشوارع الصغيرة برواسب ناعمة من الطمي. معظمها تم نحتها من أسوار المنازل المبنية بقوالب الطين. هذا بخلاف مخلفات السكان

خريطة توضح الشكل الأخير لمنطقة E13.

E13.3 أحد المنازل المقسمة

نيل سينسر

تم بناء جدار بالطول، رغم أنه لم يتم بناؤه بقدر كبير من الدقة الكافية، لكي يخلق بدوره منزلين منفصلين، أحدهما في الشمال (E13.3-N) والآخر في الجنوب (E13.3-S). أصبح لكل منهما تاريخ مختلف عن الآخر في الوقت الذي تم فصل كلا المنزلين، رغم كون التاريخ قسمة بينهم بشكل جزئي. تمت إضافة جدران عند مقدمة كل منزل لخلق أبواب أمامية ومساحة صغيرة يشترك فيها كلا المنزلين، وكان قاطنو المنزلين يمشون عليها عند الخروج، وكانت تقع ما بين الشارع والمنزل ومتضمنة أيضا فناءً به مواقد. هذا التقسيم قد تسبب في إزالة السقف أو منطقة الوصول للطابق العلوي من المنزل الشمالي،

يُعتبر المنزل (E13.3) كبير المساحة بشكل نسبي، إذ تبلغ مساحته حوالي 120 متر مربع، وقد تم بناؤه أمام النهاية الشمالية من تجمع المخازن، وتم السكن به لمدة قصيرة قبل أن يتم تقسيمه إلى نصفين. توضح لنا إحدى البرديات الإدارية المعاصرة لبناء هذا المنزل - والتي عثر عليها في طيبة - الأحجام المتغيرة للعائلات بسبب المواليد، والوفيات والزواج والطلاق، تلك المناسبات التي عادةً ما كانت تعيد تشكيل حجم الأفراد الذين يشاركون المنزل. يمكن أن يقدم لنا علم الآثار أمثلة توضح رد فعل قاطني المنزل تجاه مثل تلك التغييرات، وكيف كان يتم ترتيب الأولويات الخاصة باحتياجاتهم.



في عمق التفاصيل

وتم بناء درج جديد. لم يتم تجهيز كلا المنزلين بمصطبة منخفضة .

لاحقاً أصبح المنزل الشمالي مطموراً بشكل جزئي؛ حيث تراكمت القمامة خارج المنزل، وتم بناء درج هابط من الشارع إلى داخل المنزل بواسطة عناصر معمارية وأحجار طحن تم إعادة استخدامها. كانت الغرفة الأولى مكاناً دائماً الحركة، عادة ما يتخللها الضوء من الباب الأمامي ويتر أعلى السلم؛ حيث احتوت على مواضع للطحن وأرضية مشيدة من الطين المحروق تم تغييرها على الأقل خمس مرات. كما تم تغيير أحد مواضع الطحن من إحدى زوايا الغرفة إلى أخرى. وفي فترة متأخرة من عمر المنزل، تم إضافة أحد أفران الخبز إلى الغرفة الأولى. بشكل مفترض أصبح الاستخدام المشترك لمساحة الطهي غير مقبول أو على الأقل غير مناسب.

وعند التنقل عبر غرفة الموقد في كل منزل، من المفترض أن نجد المكان المخصص للكل والنوم والأنشطة الأكثر خصوصية، فقد احتوى كل منزل على «غرفة خلفية». لم يتم تجهيزها بأرضية صلبة، هذه الغرفة تم ملؤها بعد ذلك بعدة مواد، منها: مصوغات، ومطارق حجرية، وأدوات صيد، وسكاكين مصنوعة من حجر الطران... فهل كانت هذه الأدوات مخزنة في هذا المكان عن قصد؟ أو ببساطة تم إلقاؤها؟ تم دفن وعاء كبير من الفخار في أرضية المنزل الشمالي، وهو يحمل نقشاً بالخط الهيراطيقي مكتوب عليه: «خبز اقوا». كونه مدفوناً على سطح الأرضية الطينية، ربما كان بغرض جعل الطعام رطباً أو ربما كان بغرض إخفاء الأشياء القيمة وجعلها بعيدة عن النظر.

كانت الغرف الخلفية أيضاً أماكن لممارسة الشعائر الروحانية. فقد احتوى المنزل الشمالي على كوة (ربما كانت دولاباً أو مكاناً صغيراً مقدساً)، ولكن تم تجهيز المنزل الآخر بحامل صغير، وتم وضع تمثال نصفي لرجل مصنوع من الحجر الرملي عليه، هذا الرجل كان يرتدي شعراً أسود مستعاراً، وكان ذا وجه مطلي باللون الأحمر. تلك التماثيل الخاصة بالأسلاف كان متعارفاً عليها في القرية المصرية المعاصرة لفترة احتلال المنزليين والمعروفة باسم دير المدينة، وكان يعتقد فيها أنها تسمح للأفراد أن يسألوا أقاربهم من الموتى أن يتفاعلوا في مجريات حياتهم، وبلا شك فإن مثل ذلك



التمثال الذي لا يحمل اسماً ربما لعب الدور نفسه في عدة أجيال أخرى إذا ما تطلب الأمر.

ويبدو أن هذا التمثال النصفي أصبح بمرور الوقت زائداً عن الحاجة، حيث تم غلق تلك الغرفة الخلفية تماماً، واستمرت الحياة كما هي في الغرفتين الأماميتين من المنزل. فهل امتلأت الغرفة الخلفية بنفايات غير مرغوب بها؟ هل إنهار سقفها؟ هل انتقلت عائلة جديدة إلى المنزل ولم يكن لديها رغبة في الاحتفاظ بهذا التمثال النصفي؟

موقد وحامل فخار يقع في الغرفة
الأمامية من المنزل رقم E13.5.

الصورة اعلى الشمال

كتف باب عليه نقش تم إعادة
استعماله بشكل مقلوب في أحد
ابواب المنزل رقم E13.5.

الصورة السفلى

أفران الخبز في المنزل رقم
E13.4.



الملقاة خارج المنازل، سواء من الفضلات السائلة أو مخلفات الطلاء، و بالتأكيد ارتفاع مستوى أرضية الشوارع تدريجياً.

وفي غضون ذلك، تم انتشار عملية بناء المنازل بسرعات متفاوتة في تلك المنطقة السكنية. لم يتحوّل النصف الشرقي من الضاحية بعدُ إلى منطقة سكنية حتى وقت لاحق بالمقارنة بباقي المنطقة. ويبدو أن هناك مساحات قد تم إعادة استخدامها كورث عمل لصنع الألووان، أو على الأقل كمكان لإلقاء المخلفات التي تنجم عن العمل بالألوان. فقد تم العثور في الحفريات على مجموعة من قطع الفخار التي تم استخدامها كلوحات لخلط الألوان، وكتل من اللونين الأحمر والأصفر، كما عثر على حجارة الرحي التي مازالت مخضبة بالألوان. وعند الاتجاه نحو الشمال نجد ساحة مفتوحة تحتوي على عدة أفران كبيرة الحجم، يشير اكتشاف فضلات الأفران المعدنية وبقوتقه الفخار التي كانت مغطاة برواسب من النحاس إلى أن صناعة المعادن قد تم ممارستها في هذا المكان. كشفت الحفائر بالقرب من منزل (E13.7) عن اثنين من الحوائط المميزة، ربما قد تم بناؤها لكي تصبح جزءاً من فناء أو مساحة خارجية لأحد المنازل بعينها.

نموذج لمنزل تقليدي

تم تحويل المنطقة كلها خلال الفترة التي كان فيها رمسيس الثالث على عرش مصر (1183-1152 قبل الميلاد) - والتي شهدت موجات مع أيرم - إلى منطقة تُعجُّ بالمنازل صغيرة الحجم، فهؤلاء الذين قاموا بالبناء على طول الجانب الشرقي من الضاحية كانوا أقل التزاماً بالقيود التي تم فرضها على المباني المنشأة في فترات أخرى مبكرة؛ فقد تم تسوية طبقات سميكة من الطمي الناعم، الذي تم استعماله كطبقة وسيطة مع مخلفات الرماد والفخار المهشم - تلك المخلفات التي نتجت عن الأنشطة الصناعية - لكي يتم تسوية مسطح مستوٍ للمباني الجديدة بشكل أو بآخر أكثر سهولة من الجدران السميكة الخاصة بالمخازن. تبلغ أبعاد المنزل (E13.5) حوالي (12.1 × 6.7) متر في مساحة (81 متر مربع) متضمنة بذلك البهو الإضافي الخاص بالفرن والممتد بجانب الحائط الشرقي، والذي يمكن اعتباره إحدى ميزات المنازل ذات الحجم

المتوسط. والدخول كان عبر بوابة من الحجر الرملي تقع على الممر - الذي يصل ما بين الشرق والغرب - وهو ما أعطى الفرصة في الداخل لخلق مساحة أكبر وربما كانت غير مسقوفة، يتركز تصميمها على وجود موقد مستدير في المنتصف. كان يتم استعمال مثل تلك المواقد في أغراض الطبخ، كما كانت تقوم أيضا بتوفير الدفء للمكان في ليالي الصحراء الباردة، حتى في النهار خلال فصل الشتاء الذي يمكن أن يكون عاصفاً وشديد البرودة. وقد تم عمل بوابة صغيرة على الجانب الأيمن لتوصل إلى ساحة مجهزة بثلاثة أفران أسطوانية لصناعة الخبز تقابل الحائط الخلفي للساحة، وأيضاً موضع لحجر الطحن وحفر صغيرة ربما كانت تستعمل في صنع الفحم. تلك الميزة التي تواجدت تقريباً في كل منزل، حيث تم استعمال تلك الأجنحة في تحضير الطعام، ولا بد أنه كان يتم استخدامها أيضاً في طحن الحبوب وعملية خبز الخبز، غير أن أفران الفخار قد تم استعمالها في أغراض أخرى، مثل صناعة أدوات صغيرة من الطين المحروق. لم يكن لدى مثل هذه الأفران عمر طويل من الاستعمال، حيث إنها هشة ليست شديدة الصلابة، وسرعان ما تمتلئ بالرماد والمخلفات الأخرى. فقد عثرنا كثيراً على عدد من الأفران التي تم هدمها وبناء أخرى جديدة فوق ركامها، مثل تلك التداير قد تشير إلى الاكتفاء الذاتي لما يتعلق بطحن الحبوب وصنع الخبز. ولكن يبدو في أحد الأمثلة الأخرى أن منزلين صغيرين قد تشاركا ساحة واحدة (المنزل رقم E13.3 والمنزل رقم E13.3-S، للمزيد انظر ص 30-31). ففي العصور الحديثة في عدة أجزاء من تركيا، كان كل منزل يحوي فرناً أسطوانياً متشابهاً لصناعة الخبز (تنور) فكان الجيران يقومون بخبز ما يحتاجونه من خبز مستخدمين الفرن الخاص بكل منزل بترتيب محدد مسبقاً، وذلك لإطالة عمر الأفران وإعطاء فرصة جيدة للتفاعل الاجتماعي مع جيرانهم.

يصل الفناء الأول الخاص بالمنزل رقم (E13.5) إلى مساحة صغيرة، والتي تكاد تبلغ مساحتها أكبر بقليل من 3 × 2.5 متر. ومن الصعب أن نتخيل نوع الأنشطة أو الغرض الذي من أجله تم عمل مثل تلك الغرفة بما أنها تحتوي على بابين إضافيين. فربما قد تم استعمالها بشكل كبير كمساحة انتقالية داخل المنزل؛ فإذا ما أردت أن تصل إلى السلالم المؤدية إلى السطح أو الطابق العلوي فعليك الاتجاه نحو الشمال، أو تستكمل طريقك





بشكل مستقيم لتدخل إلى حجرة المنزل الرئيسية. وبالرغم من كونها صغيرة الحجم نسبياً إلا أن تصميم الحجرة كان يركز حول مصطبة منخفضة الارتفاع تقابل الجدار الخلفي. هذه الغرفة والائنتين اللاتي قبلها قد تم طلاؤهم باللون الأبيض. أو على الأقل فقد تم الحرص على طلاء الأجزاء السفلية من الجدران؛ فهي مساحات مهيئة لاستقبال الزوار. وقد تم تغطية الأرضيات بطبقة مصنوعة من الطين الصلب المتكئ على أرضية من الطوب. والتي كانت بالتأكيد صعبة التآكل وسهلة التنظيف بالكنس. وكما كان معناداً في المنازل المصرية. فالأبواب كانت مشيدة على زاوية حتى لا تسمح باختراق خصوصية المنزل من الشارع. ويبدو أن كل منازل عمارة غرب لم يتم فيها بناء حمام أو مرحاض. وهو ما يتشابه مع بعض القرى القديمة في

بوابة تم إعادة تجميعها من المنزل رقم E13.6 منقوش عليها اسم المعبود «آمون رع» و «حورس» والملك «تحتمس الثالث».

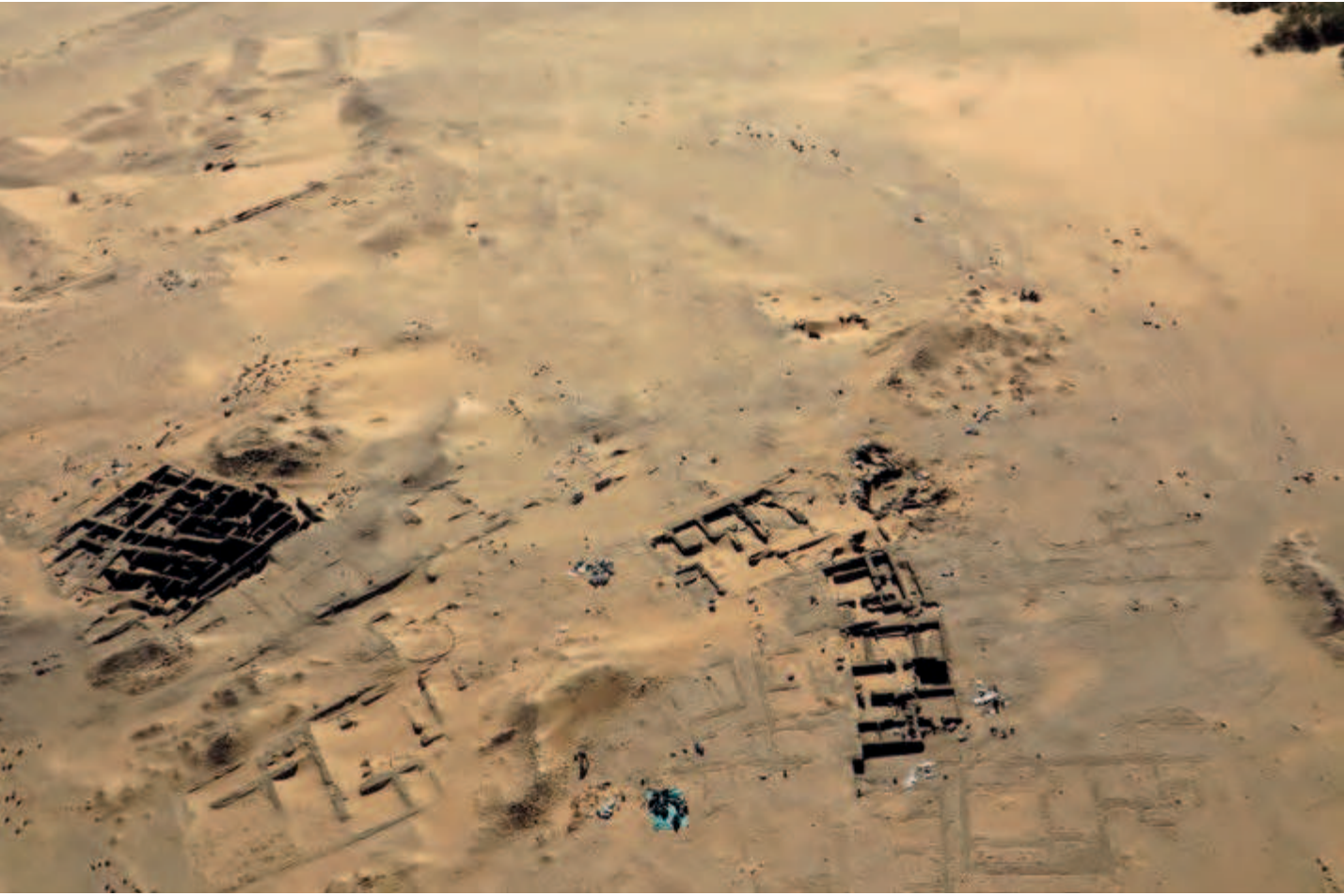
النوبة؛ حيث كان يتم استخدام الحقول المحيطة والأراضي المكشوفة لقضاء الحاجة.

وفي أماكن أخرى من الضاحية. استمرت المباني التي تم إنشاؤها حديثاً في الاندماج وإعادة التوظيف مع العناصر المعمارية المبكرة عنها. البيت رقم (E13.7) كان له أثر كبير في تشكيل التصميم الخاص بالبيت الذي تم بناؤه فوقه (E13.4) غير أن مساحة إضافية قد تم احتلالها بواسطة إزاحة الجدار الجنوبي نحو الممر.

الكشف عن العناصر المعمارية

كل باب في المنزل رقم (E13.5) قد تم صنعه من الحجر. معظم هذه الأبواب كانت في الأصل أجزاء من منازل قديمة. إحدى العتبات كانت في الأصل عتبة علوية لباب مصور عليها المعبود أوزيريس والمعبود أنوبيس. بينما الأخرى كانت في الأصل كتفة باب منقوش عليها "ناظر المخازن المزدوجة حور حوتب". لم يهتم القاطنون الجدد بتلك النقوش والرسوم أو حتى ضابقتهم؛ فالجوانب (الكتوف) التي أُعيد استعمالها في الباب الخاص بغرفة السلالم تم وضعها بشكل مقلوب. وتم تغطية النقوش بطبقة من الجير الأبيض.

يبدو أنه كان هناك اهتمام أكثر ببعض العناصر المعمارية المزخرفة القديمة في الباب المجاور الخاص بالمنزل رقم (E13.6). فلكي يتم توضيح العلامات الانتقالية تجاه منطقة الاستقبال الرئيسية. تم وضع إحدى العتبات العلوية المصنوعة من الحجر الرملي والمزخرفة بشكل جميل فوق كتف باب تم قطعها بشكل غير متقن. ويمكن الافتراض – بالنظر إلى الجودة الخاصة بذلك الحجر الرملي المُستخدَم في صناعة تلك العتبة العلوية – أنه ربما قد تم إحضارها من جزيرة صاي التي تقع بالقرب منهم. حيث تشتهر جزيرة صاي بجودة الحجر



صورة تم التقاطها بواسطة طائرة ورقية تكشف الضاحية الغربية في الجزء اليميني من الصورة.

الرملي المتواجد بها بالمقارنة بعمارة غرب. فهل تم خلعها من أحد الأبواب من هذا الموقع؟ أو هل تم اقتلاعها خصيصًا لكي يتم استعمالها في أحد منازل عمارة غرب الافتراض الأول يبدو أكثر منطقية؛ حيث تشير النقوش نفسها على العتب إلى الكا (و الكا في اللغة المصرية هي قرينة الروح) الخاصة بالملك تحوتمس الثالث، ذلك الملك الذي حكم تقريبًا قبل أن يتم بناء المنزل رقم (E13.6) بثلاثة قرون. وهو الذي قام بتجديد التوسع المصري وتكوين إمبراطورية في كل من الشرق الأدنى والنوبة. تلك العناية التي تم تكريسها في تركيب هذه العتبة العلوية للباب تجعلنا نفترض أن قاطني المنزل كانوا على علم تام بذلك الملك العظيم ذو الفتوحات الأسطورية، وقد رأوا أن وجود ما يمثله في منزلهم مفيد لهم على نحو ما.

وفي النهاية، فقد احتوت الضاحية على ثمانية منازل متجاورة، كل منها كان لديه باب يطل على أحد تلك الممرات الضيقة، ووفقًا لإحدى البرديات المصرية التي ترجع إلى عصر الدولة الحديثة فإن المنازل عادة ما كان يقطنها ما بين ثلاثة إلى تسعة أفراد، وهذا بدوره قد يجعلنا نفترض تواجد تجمع بشري مكون من 25 فردًا إلى 75. يتشاركون مع بعضهم البعض إنتاج الطعام وعدة مظاهر أخرى من الحياة في ذلك المجتمع الصغير، وعادة ما يقابلون بعضهم البعض باستمرار إذا ما خرجوا إلى تلك الممرات الضيقة. ويبدو أن التاريخ القديم للمنطقة لم يستطع الزمان أن يمحوه أو يخفيه؛ فما زال أحد المخازن يقع في وسط المنازل، وربما تم استعماله كمكان لتجميع القمامة.

E12.10 أحد منازل الضاحية

نيل سبنسر

بعد أن اعتادوا على المعيشة في تلك المدينة المقيدة بسور حولها؟

لقد تم وضع بوابة حجرية في المدخل الرئيسي، ولكن يتقدمها أيضا رواق مبني من الطوب، مبرزا جنوب المنطقة المركزية الخاصة بالمنزل. مثل تلك الإعدادات كانت تقوم بمنع خطر تراكم النفايات الخائفة للمدخل، فلاحقا تم بناء جدار عازل ودرج هابط يقود المرء إلى مستوى أرضية المنزل التي تنخفض عن المستوى المرتفع للشارع. وقد تم تمهيد أرضية رواق المدخل ودهته بعد البوابة بألواح صغيرة من حجر الشست، كما في المنزل المرقم (D12.5)، والتي بدورها كانت تحمي أكثر الأجزاء نشاطا في المنزل من التآكل والتلف. ويقع خلف الباب الأمامي فناء كبير تبلغ مساحته (8.8 × 9.4 متر) ولايد من أنه كان مفتوحا على الهواء، وكان بلا شك يوفر مساحة كبيرة للعمل، ولكن أيضا كان يستخدم كمكان لمن ينشد الظلال عندما تحرك الشمس في السماء وتقوم جدرانها بتوفير الظل. وبما أن المنزل قد تم احتلاله لحوالي 100 عام فقد أصابه التغيير بمرور الوقت، حيث تم بناء غرفة

هذا المنزل الذي تبلغ مساحته أربعة أضعاف معظم المنازل الموجودة في مدينة عمارة غرب، بلا شك وقر لقاطنيه مساحات هائلة للخصوصية والعمل (وبشكل ملاحظ في عملية إنتاج الطعام) والتخزين والترحيب بالزوار، وذلك بما يحويه من مساحات متنوعة من مباني مسقوفة أو مفتوحة على الهواء. يستدعي هذا المنزل في أذهاننا منازل عليا القوم في تل العمارنة، تلك المدينة التي قدمت حفرياتها معلومات هائلة عن منازل مصر القديمة حينها. ولكن عادة ما كان يتم تخطيط منازل مدينة تل العمارنة داخل تجمعات مسورة مجهزة بالعديد من العناصر المعمارية الأخرى، مثل أماكن للمعبودات المقدسة، وصوامع التخزين. ويبدو أن ذلك المنزل المرقم (E12.10) قد قام بالمثل بتجميع كل شيء داخل جدران المنزل. فهل لعب المناخ القاسي - والرياح بشكل خاص - دورا في اتخاذ مثل ذلك التصميم الذي يغلب عليه طابع العمارة الدفاعية؟ هل كان لغرض الأمان أو الخصوصية حتى يتم التأكد من أن كل أجزاء المنزل يمكن الوصول إليها فقط عن طريق الباب الأمامي؟ أم أنه ببساطة كان أحد التصميمات الداخلية التي كانت مألوفة لقاطني مدينة عمارة غرب،



في عمق التفاصيل

جديدة لاحقا داخل الفناء، وبالطبع فإن الغرض منها غير معلوم لنا.

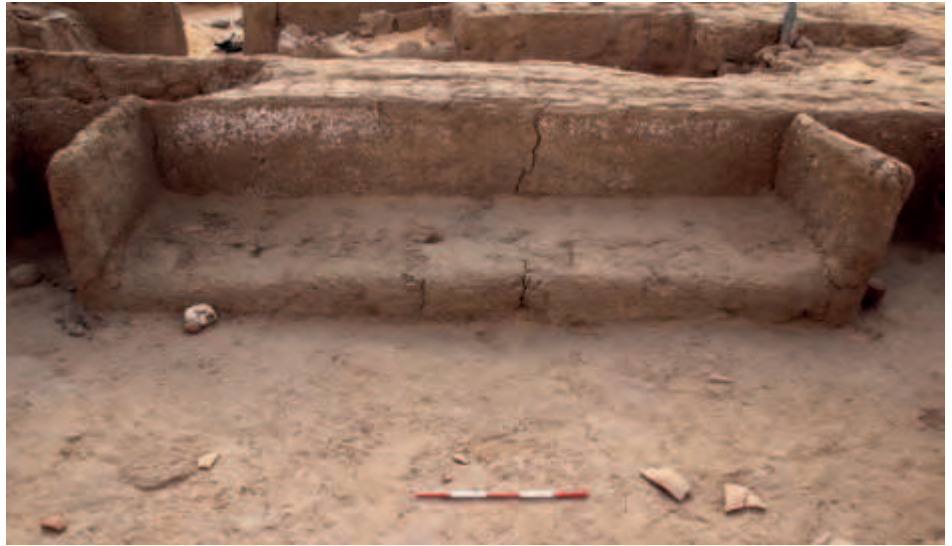
وتقع على امتداد الجدار الغربي للمنزل مجموعة مكونة من أربع صناديق للتخزين، تم بناؤها من الطوب ووضعت على حوامل من حجر الشست بشكل افتراضي لكي يتم منع الحشرات والقوارض من الوصول إلى السلع التي يتم تخزينها بداخلها، والتي كانت في الأغلب عبارة عن محاصيل حبوب. وبجانب هذه الصناديق، يوجد باب يقودنا إلى مجموعة من الغرف التي تم تجهيزها بأربع مواضع للطحن وسبعة أفران أسطوانية. حتى وإن كانت تلك التجهيزات لم يتم استعمالها في نفس الوقت، إلا أنه من الواضح أن قاطني المنزل أرادوا مساحات أكبر للتخزين، وإعداد الطعام وطهيته.

وتقع خلف الفناء المفتوح على الهواء غرفة انتقالية تقودنا نحو غرفة كبيرة بها موقد في المنتصف، كما يوجد درج يصعد بالمرء نحو السقف أو الطابق العلوي. ثم يدخل المرء بعد ذلك إلى الجزء الأكثر انعزالا من المنزل، وهو عبارة عن مجموعة مكونة من ثلاثة غرف. تم تمهيد الفناء الخاص بالغرفة الرئيسية بالطوب وجدرانها مطلية باللون الأبيض ومجهز بمصطبة تقابل الجدار الخلفي. إحدى الغرف التي تقع على اليسار كانت مجهزة بمنصة مرتفعة يتم استعمالها كسري.



الرغبة في حياة جديدة: الهواء، والمكان، والمنازل المثالية

من المعلوم أن فاطني المدن القديمة كانوا ينتجون كميات صغيرة من المخلفات بالمقارنة بنظرائهم المعاصرين، ورغم هذا فقد تراكمت النفايات على مر الزمان، كل تلك الأشياء - رماد الأفران، فضلات صنع الطعام، عظام الحيوانات المذبوحة، رقائق من الأعمال الحجرية، أوعية مكسورة، وبشكل خاص خليط ناعم جميل من الطين المحروق والتراب كان يتم كنسه خارج المنزل المشيد من قوالب الطين - وهو أمر كان مألوف لسكان مدينة عمارة غرب. فقد تم العثور بداخل جدران المدينة، على تراكمات قليلة للنفايات (وفي الأغلب فضلات الطبخ) ولكن تم العثور على طبقات سميكة من النفايات خارج الجدار الغربي للمدينة. وبعد مرور 100 عام من التاريخ الأول من إشغال مدينة عمارة غرب، فإن الحاجة إلى احتلال مناطق جديدة خارج المدينة المسورة - والتي كانت تَعَجُّ بركام من المخلفات - شجَّعت على خُلُق مساحات أخرى لبناء منازل جديدة خارج المنطقة المحاطة بجدران. وهو ما يعرف لدينا الآن باسم الضاحية الغربية، وربما قام الضغط على المساحات بتشجيع الانتقال خارج أسوار المدينة، التي زُوِّدت من قبل ببوابات ضيقة وأبراج ركنية، تلك الأسوار التي لم تعد بأية حال تؤدي ذلك الغرض الدفاعي الذي تم إنشاؤها من أجله في المقام الأول. وقد تم الكشف عنها لأول مرة في عام 2008 باستخدام المسح الجيوفيزيائي (انظر للمزيد، ص 12-13) هذه الضاحية الغربية احتوت على أربعة منازل كبيرة، وعلى الأقل أربعة عشر منزلا صغيرا في المناطق



أريكة على شكل مصطبة في المنزل رقم D12.6 في الضاحية الغربية.

الواقعة فيما بينهما. يمكن أن تقدم لنا الدراسات المستقبلية لهذه المدينة رؤى واضحة حول كيف أراد سكان هذه الضاحية أن تبدو منازلهم، وبخاصة أنهم لم يتأثروا بتاتا بوجود أي عمائر سابقة في المنطقة كما كان الحال في المنازل التي تقع داخل المدينة.

يقع أكبر منزلين بالقرب من البوابة الغربية للمدينة، وهو موقع متميز من حيث السهولة في الوصول إلى مقر إقامة النائب. يبدو المنزل الجنوبي (D12.5) وكأنه قد تم تشييده على منصة مرتفعة من الطين، مفترضا كونه وضوح الرؤية لتلك المنازل كان يعد أمرا مهما لفاطني المنزل؛ فقد أرادوا منازل ضخمة في مواقع وجيهة. هذه المنازل القديمة بما كانت تبلغه من مساحات هائلة - حوالي 400 متر مربع - جعلت تلك المنازل التي تقع داخل المدينة المسورة تبدو صغيرة جدا، وقد كانت مقامة على نفس المساحة الخاصة بعالية القوم بقرية تل العمارنة في مصر.

ومثل تلك المنازل الموجودة في قرية تل العمارنة احتوت أيضا على مساحات معقولة للتخزين وصنع

الطعام، كما تجدر الإشارة إلى أن المواد التي تم استخدامها في بناء تلك المنازل تتشابه - إلى حد كبير - مع المواد التي استخدمت في بناء المنازل الصغيرة، كالطمي المعد للبناء، والمياه، والحجر الرملي، والشسيت. ربما كان استغلال الوقت والعمالة أهم الاختلافات الرئيسية. تبدو كمية المواد التي تم العثور عليها في تلك المنازل متشابهة - إلى حد كبير - أيضا مع ما يقابلها من لقى عثر عليها في المنازل الأصغر.

وبسبب تلك المساحة الكبيرة المتوافرة لأبد من أن الضاحية الجديدة قد وفّرت كميات أكبر من الضوء و الهواء النظيف داخل المنازل. فقد تواجدت مساحات واسعة مفتوحة على الهواء الطلق بعكس الممرات الضيقة التي تواجدت في المدينة المسورة. وربما تواجدت أيضا مساحات تحفها حفر الأشجار وتقع ما بين المنازل في الضاحية الجديدة. وقد عثر على تعريشتين تم وضعهما في أوعية من الطين المحروق المستطيل في مناطق مخصصة للحدائق، ربما لزراعة الأعشاب والخضر، وعلى حافة الضاحية. في الاتجاه المنحدر نحو النهر، تم العثور على جدران نحيفة تتعرج كالثعبان على المسطح، ربما كان الغرض منها هو تحديد المناطق الخارجية المشتركة مع المنازل (حدائق؟ أفنية؟). يقدم لنا الفن المصري المؤرّخ بالدولة الحديثة - وبشكل خاص المتواجد في غرف المقابر - نماذج مثالية من المنازل الريفية، منازل الضيعة التي عادة ما كانت تحتوي على حدائق ومساح تحتشد فيها الطيور الجميلة وتزهو بما تقدمه من مساحات خضراء لقاطني المنزل.

وسواء أكانت تلك المنازل النموذجية محطّ رغبة أم لا، فإن الواقع في مدينة عمارة غرب - وفي أماكن أخرى - كان مختلفا. فالأفران ومواضع الطحن الموجودة داخل هذه المنازل كانت تُخلّف كميات كبيرة من الدخان والرماد والهشيم، وكانت الرياح القوية

تقوم بحمل هذه المخلفات وإفائها داخل حرم المنازل والمناطق التي حولها، وكما حدث في المدينة، فإن المناطق المفتوحة على الهواء الطلق أصبحت بالتدريج مملوءة بفضلات الطمي والطين؛ ولذلك تم حماية معظم الأبواب الأمامية بأروقة وتم بناء جدران عازلة (بليها درج هابط نحو أرضية المنزل) حتى تمنع دخول الأتربة والنفائيات المتزايدة بالمنطقة. وبمرور الوقت أصبحت الضاحية الغربية - وبشكل متزايد - منطقة كثيفة المباني؛ فقد تم إنشاء منازل في المناطق المفتوحة على الهواء الطلق. وتم البناء على أماكن المخصصة للحدائق... برهنت الحياة داخل الضاحية الغربية على أنها كانت متغيرة بشكل فعال، مثلها في ذلك مثل ضاحية (E13). فمرة أخرى قام الأفراد والعائلات بإعادة تشكيل المجاورة السكنية لكي تتلاءم مع احتياجاتهم المتزايدة بمرور الوقت.

وفي حين تميزت المنازل الكبيرة بالجمع ما بين أفران الخبز ومواضع الطحن وأماكن إنتاج الطعام، تميزت المنازل الأصغر حجما بوجود بعض الاختيارات الغربية بعض الشئ. ففي منزلين مجاورين تم بناؤهما في المنطقة الخارجية للمنزل (D12.5)، تم تجهيز أحدهما بصندوقين كبيرين للتخزين وعلى الأقل أربعة مواضع للطحن. بينما كان المنزل المجاور يحتوي على غرفة مخصصة للأفران، ولكن بدون مواضع للطحن حتى وقت متأخر عندما تم إضافة أحد المواضع لإحدى غرف المنزل. فهل كانوا يتشاركون تلك التجهيزات متخذين القرار بأن كلا من عائلتهما لا بد أن يتصلوا ببعضهما البعض على مثل هذا النحو؟

قامت الجمعية المصرية للاستكشاف في عامي (1948-1949) و (1949-1950) بالكشف عن ثلاثة



درج السلالم في المنزل
رقم E12.10.

أحد المنازل النوبية في المدينة الفرعونية

نبيل سبنسر

العضوية التي لا يكتب لها البقاء مثل الحصر والأقمشة والجلود والأخشاب قد ساهمت في إخفاء أية إشارة عن كيف كان يتم استغلال هذا المنزل، وكيف كانت تبدو المعيشة فيه. لقد تم تجديد الأرضية المصنوعة من الطين عدة مرات. هذا المنزل لم يتم بناؤه لاستخدامه في المناسبات، مثل الأعياد أو الاحتفالات.

وما يبدو واضحاً أن هذا المنزل كان يتبع العمارة التقليدية الخاصة بالنوبة. فتعتبر المباني الدائرية أو البيضاوية بشكل كبير غائبة في عمارة المدن المصرية، باستثناء تواجد بعض الأكوخ التي تم بناؤها من الحجر الجاف في البيئات الصحراوية المصرية، والتي ربما كان يتم استخدامها للسكن بها على فترات موسمية، سواء أكان تصميم المنزل دائرياً أو بيضاوياً، فمازال هذا التصميم يعتبر إحدى الميزات الهامة لعمارة المنازل الداخلية في مدينة كرمة منذ فترة ما قبل التاريخ وما بعدها. وفي أوقات لاحقة تم بناؤها من قوالب الطين وبطريقة مماثلة لطرق البناء المتبعة في مدينة عمارة غرب. وبشكل عام ومتنوع، فقد كان يتم تخطيط بعض المباني الضخمة في كرمة - وربما المعابد والقصور وقاعات الاستماع - في شكل دائري.

سواء أكان هذا المبنى (E12.11) منزلاً أو مكاناً للحراسة أو موضعاً لتخزين الطعام وطهيهِ أو حتى لغرض ديني = فإنه يعتبر بلا شك مثلاً مدهشاً يوضح كيف أن الأفراد أو المجموعات من قاطني المدينة كان باستطاعتهم استخدام تصميمات نوبية داخل مدينة يُفترض أنها مصرية - حتى لو كانت من مظهرها الخارجي - ليدو ذلك وكأنه إعادة تشكيل للشخصية المصرية داخل النوبة.

يقع في مقابل واجهة المنزل (E12.10) في الضاحية الغربية (انظر للمزيد ص 36-37) مبنى ذو شكل بيضاوي تم بناؤه من قوالب الطين (E12.11) وهو لا يتلاءم مع التقاليد المعمارية المصرية. فبوابة الدخول الخاصة به تقع في الجنوب، والمساحة الداخلية قد تم تقسيمها بواسطة جدار منحني، يخلق غرفة أمامية صغيرة ومساحة رئيسية كبيرة.

فما الغرض من هذا المنزل؟ باختصار، لدينا معلومات قليلة، فهذا المنزل لم يكن ببساطة غرفة تخزين أو مكان لتجميع الحيوانات، وهو ما يتضح جلياً من اتخاذ الجدار الخلفي للغرفة الرئيسية شكل حرف (L)، والتي تم عمل موضع للموقد في تلك الغرفة، سواء للطهي أو لأنشطة أخرى. فقد قامت النيران بتحويل جزء من الجدار إلى لون أسود مخلوط بالاحمر. ويبدو أن عملية تركيب المواقد قد تطلبت دعائم (حجرية؟)، والتي قامت بدورها بحماية اثنين من الخطوط الرأسية التي كانت موجودة على الجدار من الاحتراق. لم يتم العثور على فراغات أو قواعد أي أعمدة على تلك الأرضية المصنوعة من طبقة سميكة من الطين ويشير حجم الغرفة الثانية إلى عدم استطاعة أن يتم تسقيفها بالكامل. هذا بالإضافة إلى أن حجم الركاب والحطام الذي وجدناه يفترض أن الجدران قد تم بناؤها بارتفاع هائل.

المواد والفخار التي تم العثور عليها داخل هذا المنزل ليست بمختلفة عن تلك التي وجدت في منازل المدينة الأخرى. فلم يتبق لنا شيء مميز يمكن أن يخبرنا بالوظيفة الحقيقية لهذا المنزل، لا نفايات، أو مخلفات فخارية وطلاء. وكالمعتاد فإن عدم العثور على تلك المواد



الأسقف العتيقة

ماري فاندنيوش



عادة ما تكون الأسقف هي الجزء الأول الذي ينهار في المنازل المهجورة، بل ويتم حتى تدميرها عندما يتم تفكيك المنزل بنأً، وهو الشائع في مدينة عمارة غرب. ومن حسن حظنا فقد عثرنا على أجزاء من تلك الأسقف في الرواسب الأثرية، لتعطي لنا لمحات عن كيف كان يتم استغلال المساحات وطبيعة الطوابق العليا.

اظهرت الحفائر في مدينة عمارة غرب الآلاف من قطع الطين، والتي كانت تشكل بدورها أجزاءً من الأسقف المنهارة، وقد حملت إلينا تلك الأجزاء معلومات قيمة عن المواد التي كان يتم استخدامها في بناء الأسقف. وتسمح لنا الدراسة المدققة لتلك الأجزاء بتفهم كيف كان يتم تغطية الغرف وحمايتها. فقد تم وضع العوارض الخشبية والعشب الحر وعشب آخر تم تجميعه على هيئة رزم، وحصير منسوج من أعواد النباتات، وأعواد (خشبية) على بعضهم البعض باستخدام خلطات مختلفة، وذلك حتى يتم خلق التدعيم اللازم لطبقة سميكة من الطين. تشير الدراسة الدقيقة لمثل تلك الأجزاء إلى أن العوارض كان يتم تغطيتها بعيديان من العشب والعشب الحر، ولكن أيضا كان في إمكان الحصير ورزم العشب أن تستخدم كبديل لتلك العيدين الخشبية. عادة ما كانت الأسقف الكبيرة في حاجة إلى مواد أقوى صلابة، مثل العوارض الخشبية الكبيرة، وذلك من أجل تدعيم ذلك الامتداد الهائل لسقف الغرفة. من الواضح أن القائمين على البناء لم يتبعوا طريقة ثابتة، بل فضلوا عدة مكونات لصناعة الأسقف، ليس فقط داخل المنزل نفسه، بل بداخل الغرفة الواحدة!

فربما تعطينا الاختلافات المتعلقة بدرجة سُكْم الأسقف، والدور الجوهرى الذي لعبته العيدين والعوارض الخشبية لمحات عن الغرض الذي تم صناعة السقف خصيصًا من أجله. فبعض منهم كان لحجب الضوء ولتوفير الظل والحماية من الرياح. وآخرون كانوا أكثر متانة، فوجود الدرج يشير إلى أن قاطني تلك المنازل كان متاحًا لهم الوصول إلى أسقف المنازل، والتي ربما شكلت مكانًا جيدًا للنوم في الليالي الحارة، أو لممارسة الصناعات التي تتطلب قدرًا من الضوء أو الهواء الطلق. وربما تم بناء طوابق علوية لكي توفر مساحات أكبر تتمتع بالخصوصية.



مبانٍ تقع خارج الجدار الشرقي من المدينة، كانت تتضمن على الأقل منزلاً واحداً ومبنى غير مألوف؛ حيث تم العثور فيه على قدور تحوي دفنات لثعابين، ومازالت المنطقة تغطيها طبقات سميكة من الرمال وأخرى من مخلفات المنطقة الواقعة في الجنوب الشرقي وجنوب المدينة المسورة، فهل ما زالت توجد مجاورة سكنية أخرى مختبئة تحت الرمال؟

قراءة الماضي: إحباطات وقيود

نسمح لنا الحالة المُدهشة التي تواجدها العناصر المعمارية في مدينة عمارة غرب بكتابة سيرة ذاتية للأماكن، سواء للغرف أو المنازل أو الضواحي. ولكن هناك فصول مفقودة في تلك السيرة الذاتية، والقلم لن يستطيع بأية حال أن يقوم بإعادة كتابتها بالاعتماد على ما تبقى لنا من صفحات. فمعرفةنا بهذه المنازل مقصورة على الطوابق الأرضية، نحن نعلم أن قاطني المنازل قد قاموا ببناء أدوار علوية، ولكن ما نوع الأنشطة التي تم ممارستها هناك؟ أو ما الذي تم وضعه هناك؟ تم استعمال أسقف شديدة الصلابة في تغطية بعض الحجرات (انظر وأيضاً للمزيد ص 41) ولكن هل تم بناء أدوار علوية تحتوي على غرف تتميز بخصوصية أكبر من تلك الموجودة في الأدوار الأرضية؟ فقد كان بإمكان تلك الجدران المبنية من قوالب الطين - كالتي تم استخدامها في بناء منازل عمارة غرب - أن تتحمل وتدعم منازل ذات عدة طوابق.

فربما كان الدرج يؤدي إلى أسقف مفتوحة، والتي ربما تم تحديدها بأسوار منخفضة الارتفاع، وذلك من أجل الأنشطة التي تتطلب ضوء الشمس أو حيثما يستطيع المرء أن ينام في ليالي الصيف الحارة. ولا يجب أن نفترض وجود حدود فاصلة بين المنازل بعضها البعض كمثل التي تواجدها في الأدوار الأرضية وأنه قد تم استنساخها في الأدوار العلوية. ففي الواقع - حتى في مستوى الأدوار الأرضية - كانت هناك درجة من الامتزاج ما بين العائلات يمكن افتراضها، والتي ساهمت بدورها على تشجيع عمل أبواب تصل المنازل بعضها ببعض من حين لآخر.

عادة ما يتم تقديم الدراسات الخاصة بالأنوار المتبقية من عمارة المدن خلال الدولة الحديثة، وفي أي مدينة قديمة تقع حول البحر المتوسط، أو في شمال إفريقيا والشرق الأدنى، كدراسات تحيط بها الشمس من كل جهة (شديدة الصعوبة والانتقاد من قبل البعض) ولكن الجدران والمباني هي التي توفر الظلال القوية لدفع مثل تلك الدراسات. خبراتنا الشخصية كمنقبين أفادت كثيراً من الأيام التي كانت تملؤها العواصف الحاملة للرمال، والتي تعتبر بشكل نسبي أمراً شائعاً في المنطقة، فبداخل المدن القديمة، ربما تعلق بذلك بتفسير اللون الباهت الأسمر الخاص بالعمائر التي بُنيت من قوالب الطين والذي ينتج بدوره أيضاً كثير من القاذورات، والتي ساهمت أيضاً في صنع بيئة متربة، فبعد أن يتم تشييد العناصر المعمارية الثابتة، مثل الدرج والأبواب والمواقف والأفران ومواقع الطحن، تصبح المنازل مهياً لكي يتم فرشها بالأثاث: المفروشات، والجلود، والمصنوعات الخشبية والبرديات، تلك المواد التي لم يُكتب لها البقاء لنا، فبلا شك كان بإمكان الحصر أو ما يتم تعليقه على



عتبة علوية لباب مصنوعة من الحجر الرملي وعليها تصوير للسيدة «أيتجيت» وتحت كرسيتها يوجد أحد القروود. تم إعادة استخدامه لكي يتم غلق أحد الأبواب في المنزل رقم D12.6.



الحفريات ف المنزل E13.8 حيث
بنى مقابلاً للحائط الشمالي.

الحائط أن يقوم بتغيير الشكل العام بل والإحساس الخاص باستغلال تلك المساحات الحيوية. فقد تم العثور على منضدة صغيرة من الحجر في المنزل رقم (E13.3-S) وربما تواجدت أيضا تجهيزات كبيرة وثقيلة موضوعة على الأرضيات في بعض الغرف، منها أحجار الطحن الكبيرة (التي كان بعض منها سهل الحمل والآخر ثقيلًا)، ومطارق حجرية، وأوعية وسندان تم وضعهم على حوامل لكي تحفظ مياه الشرب والسوائل الأخرى. إن استخدام اللون البني الباهت في طلاء العمائر كان بإمكانه تغيير الشكل الخاص بها، والشائع في جدران غرف المنزل أن يتم طلاؤها باللون الأبيض، ولكن ليس في كل الأحوال وصولاً إلى السقف. وهذا أيضا كان يضم غرفة الاستقبال الرئيسية بما تحويه من مصطبة، تعمل تلك الجدران المطلية باللون الأبيض بشكل محتمل على زيادة انعكاس الضوء داخل المنزل، وتعطي إحساسا بالنظافة أيضا، وفي بعض الأماكن، انتشر استخدام عدة ألوان أخرى، مثل ذلك الجدار الذي يقع خلف المصطبة في منزل (E13.7) الذي قد تم طلاؤه باللون الأصفر، بجانب الكوة التي تقع فوق المصطبة والتي تم تزيينها بعدة ألوان، كما توجد أمثلة أخرى لغرف المنزل التي احتوت على أسقف معقودة تم تزيينها بأشكال ملونة.

ويعتبر الوصول إلى أسماء الأفراد الذين كانوا يسكنون مدينة عمارة غرب من أصعب الاختبارات للعاملين في الحقل الأثري، فبخلاف النائب الذي تم ذكره في الفصل السابق، وجدنا أسماء قليلة، فعلى إحدى عتبات الأبواب، والتي أعيد استعمالها مرة أخرى في أحد منازل الضاحية المتواضعة، نجد سيدة ترتدي ثيابا أنيقة ترجع إلى عصر متأخر من الدولة الحديثة، مرتدية شعرا طويلا مستعارا وفستانا فضفاضا، تجلس على كرسي تم صنعه بعناية، حيث تم صنع أرجله على شكل أقدام الأسود. هناك تفصيلتان أدتا إلى أن نعتقد تماما بكون هذه السيدة كانت في يوم من الأيام تنتمي إلى واقع المدينة، هما: وجود أحد القروء يقفز تحت الكرسي، وأنها كانت تدعى اباجت. الفصل القادم يهدف إلى وصف سكان منازل مدينة عمارة غرب، مسجلا النشاطات التي كانوا يقومون بها وممتلكاتهم التي عثرنا عليها، حتى وإن كنا لا نستطيع أن نتعرف على أسمائهم.

مسطحات للمعيشة

مات دالتون

ربما يعتبر إدراك الفروق بين أنواع الأرضيات المختلفة أحد العوامل المهمة التي تساعدنا على فهم كيف وأين كان يتم استخدامها. فعادة ما يساعد الملاحظ الطيني المخلوط بالألياف النباتية (مثل القش) على الحفاظ على درجة حرارة مناسبة في الأيام التي يتخللها فترات شديدة الحرارة وأيضاً خلال ليالي الصحراء الباردة. فيمكن للمرء الشعور بالنظافة والراحة عند المشي عاري القدمين على مثل تلك المسطحات، وربما تم اعتبار هذه الأرضيات أحد الفروق ما بين أماكن المعيشة والسوراع التي تتأثر بها القمامة ومناطق الفضاء المكشوفة. تلك المسطحات «غير المكلفة» مثل الأرضيات الترابية المستوية، كان يتم تفضيلها عن المناطق التي لا يكثر استخدامها بالمنزل والمناطق التي تتميز بأنشطة يتخلف عنها الكثير من الفوضى، مثل تحضير الخبز في أفران تستعمل الوقود الخشبي.

كانت كثير من مظاهر الحياة تدور أحداثها في الأدوار الأرضية من المنازل، ولذلك فإن الأرضيات الخاصة بتلك الأماكن يمكن أن تقدم لنا لمحات عن كيفية استغلال المناطق المختلفة داخل منازل الأفراد. ويمكن أيضاً أن توضح أسلوب مشاركة الأفكار - وربما حتى المثاليات الشائعة بينهم - عن أسلوب الحياة المناسب داخل المدن القديمة.

تعتبر الأرضيات التي تم صنعها من الطين الجيد (اللباسة) إحدى المميزات المكملة لتصميم الغرف والأقنية التي تواجدت في المنطقة الخلفية لعدة منازل كبيرة ومتوسطة الحجم في مدينة عمارة غرب. هذه الغرف بما تحويه من زخارف جدارية بدعية ومواقد ومصاطب، ربما تعكس الاهتمام بثقافة الضيافة والتفاعل المجتمعي وتبرز مظهره. وربما كان التجديد المستمر ووضع طبقات جديدة من الأرضيات بسبب أهمية الحفاظ على مستويات جمالية معينة في مثل تلك المناطق.



في عمق التفاصيل



تعتبر هذه المسطحات غير المكلفة أكثر قابلية للتنفيذ من الأرضيات المشيدة باستخدام الملاط الطيني الصلب، وعادة ما تحمل بعض من مخلفات الأنشطة التي كانت تقام عليها، متضمنة بذلك قطعاً فنية صغيرة أو طبقات رقيقة من الطلاء الأحمر. بعض آثار مثل هذه الأنشطة قد لا يبدو واضحاً للعين المجردة بدون تحليل علمي مفصل، فاختبار المكان بواسطة أدوات الكيمياء الجيولوجية لتعقب بعض العناصر مثل الفسفور يوضح لنا أن إحدى المناطق المنفصلة في إحدى الغرف ذات الأرضية المصنوعة من الملاط الطيني والتي تقع في المنزل رقم (E13.3) (انظر وللمزيد ص 30-31) ربما احتوت على كميات من المخلفات العضوية الصلبة أو السائلة والتي أصبحت بدورها جزءاً من تركيب الأرضية بعد الامتزاج بها. فهل كانت حيوانات المنزل تعيش هنا؟ أو تم استعمال تلك الفضلات في الوقود أو أنشطة أخرى؟

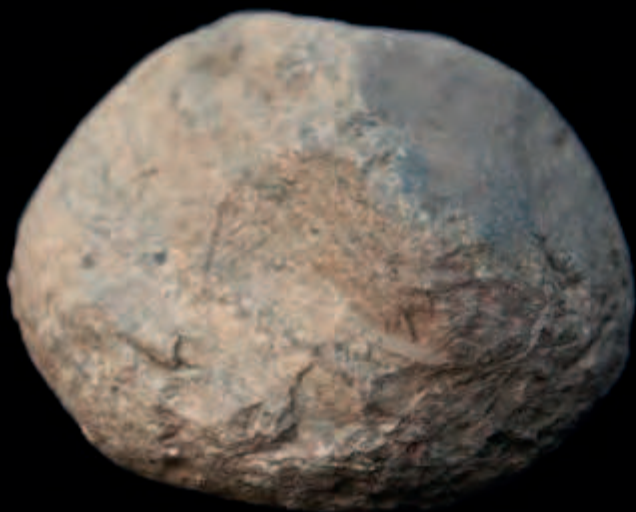
هذه التحليلات العلمية للأرضيات المشيدة يمكن أن تخبرنا عن هؤلاء الأفراد الذين قاموا بتركيبها وفرشها على الأرض. أوضحت الدراسات الأثرية العريقة الخاصة بالمنزل «التقليدية» النوبية أن إنتاج الملاط الطيني وتصنيعه كان يعتبر حرفة تتطلب مهارة عالية، بما شملته من وصفات ذات تركيبات متنوعة ومميرة، والتي أمكن التعرف عليها في أحد الأماكن التي احتوت على أرضية مكونة من طبقات متعددة في أحد منازل جزيرة أرنتي. قد يثير التشابه في تركيب الطبقات المختلفة لإحدى أرضيات المبنى رقم (E12.11) اشتراك نفس الشخص في صنعها، غير أن التنوع الواسع في وصفات الملاط الطيني التي تم اختبارها ربما تشير أيضاً إلى أن عملية فرش الأرضيات كانت إحدى الممارسات المعمارية، التي كانت تقوم بها العائلة التي تقطن المنزل بشكل أساسي، أكثر من كونها عملاً متخصصاً له قواعد تجارية.

يمكن أن تكشف لنا المسطحات الطينية والأرضيات كيف كان يرغب السكان في تنظيم منازلهم وطبيعة الحياة فيها. عادة ما كان يتم تجديد الأرضيات أكثر من العناصر المعمارية الأخرى، ولذلك فإن تلك الأرضيات باستطاعتها أن تقدم لنا افتراضات زمنية أكثر تفصيلاً عن العناصر المعمارية الأخرى الخاصة ببناء المنزل والإضافات التي تم رؤيتها في المدينة.

المعيشة في المدينة القديمة

أنا ستيفنز





سكان عمارة غرب

الصفحة السابقة

لقى آثارية تم العثور عليها حول المنازل القديمة في عمارة غرب.

مَن هم سكان مدينة عمارة غرب؟ وكيف يمكن لنا أن نعيد تعميم المدينة بما يمكن أن تسرده من قصص عن حياة أهلها؟ لقد شغل المدينة مجتمع مختلط من الرجال والنساء والأطفال، بعض منهم شغل مناصب إدارية والآخرين اكتفوا بالعمل كعمال يدوية. ولكن بشكل مؤكد فقد عاش المصريون والنوبيون مع بعضهم البعض في المدينة.

ربما يمكن حصر أهل المدينة الأوائل الذين استقر بهم المقام للسكن بها منذ بدايه نشأتها بحوالي 200 فرد أو ما يقارب ذلك العدد. وربما لم يأت إليها أي من القادمين الجدد مباشرة من مصر. ولكن ممن كانوا يسكنون مدن فرعونية قريبة مثل سيسبي وصاي والكوة. وفي هذه الحالة، فإن هؤلاء "المصريين" قاطني تلك المدينة التي تم إنشاؤها 1300 قبل الميلاد كانوا على علم تام بالمناطق المحيطة، والتقاليد النوبية، وربما كانوا على علم باللغات المحلية أيضا. فلم تكن مهمة التعامل مع البيئة المحيطة بهم بالأمر الصعب لهم. وربما كان الكثير منهم من أصل نوبي، واعتبروا أنفسهم مصريين ونوبيين في الوقت نفسه.

مع تتابع الاجيال، ازدهرت المدينة، وتغير مظهرها الداخلي والخارجي. كما تغير سكانها أيضا. ربما بسبب الهجرات المستمرة للمكان وتمدد العائلات وتعداد سكان المدينة. دفع ذلك الأمر للتوسع وإنشاء امتدادات سكنية مجاورة أخرى في الجزء الغربي. فبنشأة مجموعات أسرية جديدة، لم يتم فقط توسيع أماكن الإقامة وإنما كان يتم تعديلها بشكل مستمر لتلائم الاحتياجات المتغيرة الخاصة بقاطني المدينة. فهناك منازل جديدة تم إقامتها، وأخرى تم تقسيمها (انظر للمزيد ص 30-31). وربما يرجع ذلك إلى وفاة غير متوقعة لأحد أفراد الأسرة أو إخلاء أحد الملكيات، أو زواج وبناء عائلة تحتاج إلى سكن. إحدى الأشياء المبهرة

المنزل رقم D12.5 والمنزل رقم D12.6 في الضاحية الغربية، خلال موسم الحفريات في فبراير 2014.



الأختام: منمنمات عن أسلوب التعبير عن القوة والسيطرة الفرعونية

ماري فاندنبوش



تعددت وسائل إظهار رموز القوة الملكية باستخدام عدة أفكار أخرى يتم طبعها على الأختام؛ فهناك أحد الأمثلة المدهشة التي تمثل رجلاً يقف على عربة حربية ويقوم بسحب أحد الأسهم من القوس، وأمامه يقف أعداء مسلحون تم تصويرهم في فوضى عارمة. هذا المنظر المفعم بالحركة يحاكي المناظر الرسمية التي اعتلت جدران المعابد والتي تروج إلى التفوق والسيطرة العسكرية المصرية على الأعداء. وهناك ختامة أخرى تصور أحد الأسود وهو مستحوذ على عدو راكع أمامه وأسلحته مقيدة خلفه. كما تواجدت الكوبرا - والتي عادة ما ترمز إلى الملك المصري - على ظهر الأسد، وكأنه بذلك ينقل القوى الملكية الخاصة بالملك إلى ذلك الحيوان.

تم استخدام أختام ذات أحجام وأشكال متنوعة بشكل عام في مصر القديمة أثناء عملية غلق أو ختم الأوعية والصاديق والوثائق الهامة التي تمت كتابتها على البرديات أو حتى أي من العناصر التي احتوت على معلومات أو مواد ثمينة. لقد عثرنا في مدينة عمارة غرب على بروز صغير في طمي الطين يحمل طابع الختم على أحد جوانبه، والوجه الآخر كان محتوياً بجزء من المادة التي تم غلقها، ربما كانت لفة بردي أو صندوقاً تم غلقه بواسطة شريط. عادة ما تتخذ هذه الأختام الشكل البيضاوي أو شكل الجعران، وفي الغالب كانت عملية الختم تتم بالضغط على الختامة عندما يكون الطين مازال رطباً. وهي بذلك تؤكد عملية الغلق، لم يتم العثور على الختامة والختم الخاص بها في مكان واحد، ولكن تم العثور على جعران مدفون مع امرأة شابة في أحد مقابر الدولة الحديثة (G234) يتطابق مع ختمين تم العثور عليهما داخل المدينة، ونادراً ما يتم العثور على مثل ذلك الكشف الأثري.

عادة ما تكون معظم أختام الغلق التي يتم العثور عليها في حالة حفظ سيئة أو مكسورة أو من الصعب التعرف عليها ما بين حطام الطوب المصنوع من الطين. فالدراسة المتأنية باستعمال أساليب إنارة مختلفة يمكن أن تكشف لنا الأغراض الخاصة بكل ختم، وفي بعض الأحيان تقوم بإعادة بناء أجزاء الختم الأصلي الذي تم استعماله بكثرة. تتضمن السلع المختومة التي كتب لها البقاء أنواعاً مختلفة من البضائع والحيوانات وقطعاً ناقصة من لفافات البردي المكتوبة بالهيريوغليفية. كما ظهرت الخراطيش الملكية كختم في عدة أمثلة، ويعد الأكثر شيوعاً تلك الأختام التي حملت الاسم الثاني للملك تحتمس الثالث «من خبر رع» ذلك الملك المحارب الذي ينتمي إلى الأسرة الثامنة عشر، والذي ظل اسمه باقياً عدة قرون بعد وفاته من خلال تلك الأختام التي تمت خلال عصره.





عن هذه المدينة هي كَمَّ الحرية التي سمح بها السكان لأنفسهم لبناء مجتمعهم الحضاري وإعادة بنائه.

الحياة داخل المنزل

كانت المنازل مظلمة إلى حد ما، والمساحات مكتظة، وبخاصة تلك المنازل التي تواجدت داخل المدينة المسورة. كانت مثل تلك الأوضاع مفضلة لعدة أسباب؛ فقد كانت النوافذ الصغيرة عادة ما تسمح بدخول كمية قليلة من الأتربة والحرارة، وما زالت هذه النوافذ مفضلة في المنازل النوبية المعاصرة الآن. ربما كانت المجتمعات التي يعيش أهلها بالقرب من بعضهم البعض أمراً فعّالاً في تشجيع التعاون وبناء علاقات وثيقة ما بين العائلات. وبشكل كبير، فإن الحياة هنا لا بد وأنها قد استلهمت تلك الحياة التي صورها العمال من بتائي المقابر في قرية دير المدينة بالأقصر في مصر. تلك المدينة الصغيرة المسورة التي تؤرخ بنفس الوقت الخاص بإنشاء مدينة عمارة غرب، بما تحويه من منازل متشابهة المساحة. وقد تم العثور على نصوص تم كتابتها على أجزاء من الأوعية، ورقائق الحجر والبردي في دير المدينة، والتي بدورها يمكن أن تقودنا إلى معرفة كافة الجوانب الخاصة بالحياة داخل تلك القرية المصرية، سواء أكانت تتعلق بعمليات التنقل اليومية أو السرقات أو غيرها فكل شخص بالمدينة يعرف أمور جاره.

ولذلك فمن المحتمل، إن منازل مدينة عمارة غرب كانت تشكل مزيجاً تتفاعل فيه المساحات المخصصة للعائلة مع تلك المخصصة للعمل والزيارات. تفترض مواضع المصاطب – والتي كانت عادة ما تقع في غرف قريبة من مؤخرة المنزل – أن هذا الجزء من المنزل عادة ما كان يتم استعماله لاستقبال الزوار. ويبدو أن الغرف الجانبية قد تم استغلالها في تحضير الطعام والطهي، وأنشطة أخرى تخلف عنها الدخان والأتربة والنفايات، مثل رقائق الحجر الناتجة عن استعمال الأدوات الحجرية.

منظر لامتداد مساحة المخازن في المنطقة E13 والتي تم تقسيمها إلى قطع مساحية صغيرة. المساحة الصغرى الأمامية كانت مملوءة بمخلفات تجهيز الأوان.

هذه الغرف عادة - وليس دائماً - ما كان يتم تركها بدون أسقف لتكون مفتوحة على الهواء الطلق أو تتم تغطية جزء من السقف ويترك باقي المساحة ليعطي فرصة لخروج الدخان (انظر للمزيد ص 41). وعلى الرغم من الجهد الفائق الذي بذله قاطني المنزل لكي يتم الحفاظ على المنازل نظيفة، فإن المناخ العام في المدينة لا بد أنه كان مفعماً بالأتربة والدخان؛ بسبب الأنشطة المنزلية وأماكن صناعة الفخار وتخزين البضائع الأخرى، والتي كانت تقع داخل المدينة، والتي بلا شك ساهمت في تفاقم المشكلة. أوضحت التحليلات الخاصة بالهياكل العظمية التي تم العثور عليها في المدينة وجود بعض الأمراض التي كان يعاني منها قاطنو المدينة (انظر للمزيد ص 58 و 66). أغلب تلك الأمراض كانت نتاج تلك الأوضاع المعيشية بما تخلفه من هواء ملوث بالأدخنة والأتربة بتنفسه الجميع.

تطلبت التقاليد المصرية أن يتم تخصيص أماكن للنساء، وبخاصة للنساء التي في وضع الولادة أو الحيض، ويبدو أن منازل عمارة غرب قد احتوت على مناطق غير مسموح للزوار بتجاوزها، على الأقل في بعض الأحيان؛ فقد عثر على مُسَوِّدات تم رسمها على قِطْع من الفَخَّار في مدينة تل العمارنة وأماكن أخرى كانت تُظهِر المرأة وهي تقوم برضاعة الأطفال في الأسابيع التي تلي الولادة في أماكن تبدو مظلمة ومغطاة بعناقيد العنب. فربما تم إعطاء أولوية للنساء في مساحات تقع فوق الأسطح بشكل مشابه لهذا التصوير، وربما لم تستطع المنازل الصغيرة التي كان يقيم فيها عائلة كبيرة متفرعة توفير مثل تلك الأماكن لأنها كانت في حاجة إلى مساحات أكبر يمكن تكيفها وفقاً لاحتياجاتهم المتزايدة، وبشكل محتمل. فإن أسطح المنازل كان يتم استعمالها للنوم خلال أشهر الصيف الحارة، فيما كانت المصاطب تعد أكثر الأماكن المنطقية التي كان يستعملها قاطنو المنزل للراحة خلال ساعات اليوم، وربما كان يتم نقل الأنشطة البدوية من الخارج (أفصد من أسقف المنازل؟) إلى الغرف الداخلية وذلك لتفادي حرارة الأيام الصيفية.

العمل والأنشطة الترفيهية

يمكن اعتبار سكان عمارة غرب على أنهم كانوا يمثلون الاهتمامات المصرية في النوبة، أو على الأقل عند بداية نشأة المدينة، البعض منهم كان يعمل بوظائف إدارية أو رسمية أو ككتبة، مستغلين بذلك التعليم الذي تلقوه والذي مكنهم من معرفة القراءة والكتابة، والتي كانت تعد إحدى المهارات النادرة في ذلك الوقت في العالم القديم. تواجدت بعض من اللمحات عن طبيعة أعمالهم على أختام صغيرة من الطين ذات تصميمات غائرة كان يتم استخدامها في غلق وثائق البردي (انظر للمزيد ص 49). وفي أجزاء الأواني الفخارية التي تم نقش أسماء السلع عليها، مثل هؤلاء الموظفين قاموا بوصول مدينة عمارة غرب بالعالم الذي يقع حولها، وكانوا يشكلون علية القوم بالمدينة، ولكن منازلهم كانت تقع بجانب السكان الآخرين الأقل ثراءً ومكانة. فالمنازل الصغيرة والمتوسطة من المجاورة السكنية (E13) كانت تقع على مسافات قريبة من مقر إقامة النائب نفسه، وبارتفاع مستوى الشارع بمرور الزمان ربما كانت هذه المنازل في مكان أكثر ارتفاعاً من منزل النائب.

وفي الجبانات، فقد تم العثور على حُفَرٍ صغيرة تم استخدامها كمقابر بجانب تلك المقابر الكبيرة المجهزة بمباني علوية مُفَصَّلة. ويبدو من الظاهر على الأقل أنه لم تكن هناك فروق عنصرية تعتمد على الثراء المادي في مدينة عمارة غرب؛ فالحياة في المدينة كانت تتطلب من أهلها مشاركة خبراتهم، وفي أوقات



إناء نوبي للظهي (أعلى اليمين) وإناء حفظ مصري، ومجموعة من الأدوات الحجرية، تم العثور عليها على أرضية مصنوعة من الطين المحروق في إحدى غرف المنزل رقم D12.5.

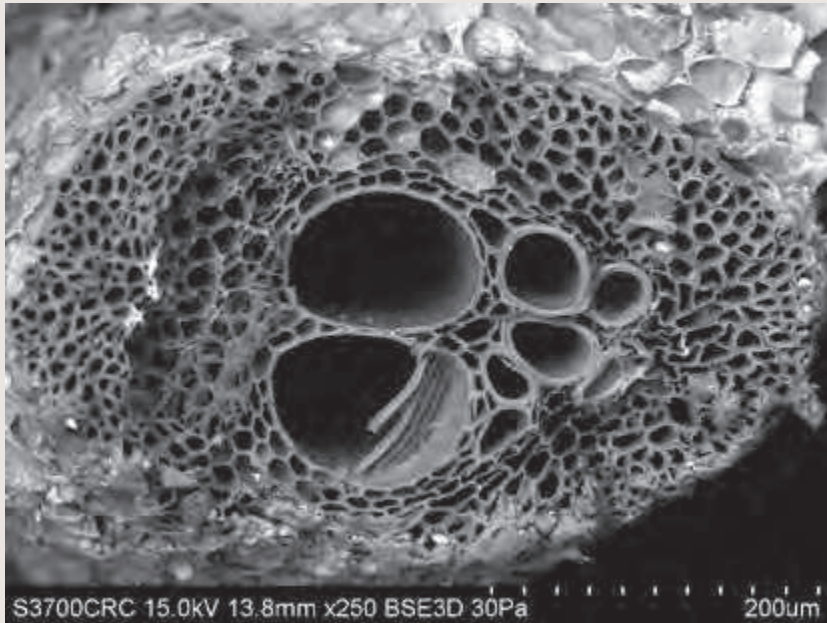
البحث في استغلال النباتات القديمة

فيليبا ريان & كارولين كارتوريت

عن المواعد والأفران، فيمكن لها أن توضح حالة مخازن التخزين على سبيل المثال.

تفترض أفران الخبز التي عثر عليها في حالة جيدة من الحفظ داخل المنازل في مدينة عمارة غرب بالإضافة إلى المناطق المخصصة لتحضير الحبوب= أن قاطنى المنازل قد قاموا بصناعة الخبز الخاص بهم. بعض من المنازل كان لديها وسائل تخزين ضخمة (كالصناديق المصنوعة من الطين والحجر)، ولكن ليس كل المنازل. فهل تلك المنازل التي خلت من تجهيزات التخزين كانت تعتمد على حبوب يتم توزيعها عليهم؟ الحبوب التي تم استعمالها في مدينة عمارة غرب تتنوع ما بين قمح إيمر القمح ثنائي الحبة (*Triticum dicocum*) وشعير مُقَشَّر سداسي الطبقات (*Hordeum vulgare*). وبشكل مثير للاهتمام، فقد اعتمدت المنازل على قمح إيمر بنسبة 89% من الحبوب التي يقومون بإنتاجها. وفي المقابل بنسبة 45% في بعض المنازل الأصغر حجماً. الأتواع المختلفة من القمح التي يتم زراعتها الآن في كل من مصر والسودان لا تحتاج إلى دريش، والتي ربما تشير إلى عملية الفصل السهل ما

إن ما تم العثور عليه في الحفريات الأثرية من المدن والقرى القديمة يمكن أن يخبرنا عن مدى استغلال النباتات في الحياة اليومية. فأغلب تلك النباتات التي قاومت الزمن لتبقى لنا من مدينة عمارة غرب قد تم تفحمها، كالحبوب الكاملة غير المطحونة والقش، هذا إلى جانب بذور الأعشاب والفواكه، كما يقدم لنا ذلك الفحم النباتي دليلاً على مصادر الأخشاب المستغلة، وبشكل خاص الأخشاب التي تم استعمالها كمحروقات للوقود. معظم اللقى المتفحمة - والتي تمثل خليطاً من المحروقات - كانت بمثابة فضلات إنتاج الطعام ومخلفات أخرى تم إحراقها في الأفران المنزلية والمواعد. وقد استطعنا الحصول على بعض المعلومات عنها بواسطة تحليل مادة (الفيتوليتيس) وهي عجينة السيلكا المخاطية التي تقوم بسبك وحفظ خلايا النبات - والتي بإمكانها الحفاظ على المعلومات الخاصة بالنباتات التي تم تحويلها إلى رما، أو تلك الأجزاء السليمة من النباتات التي نادراً ما يكتب لها البقاء داخل الموقد، مثل الأوراق والسيقان. هذه البقايا الميكروسكوبية يمكن أن تخبرنا عن أساليب استغلال النبات في مناطق أخرى بعيدة





أحد أهداف الدراسة هو التحقق عما إذا كانت هناك تغييرات في استغلال النباتات في مدينة عمارة غرب بمرور الزمن ام لا، فربما كان ذلك التغيير متصلا بتغيرات في المناخ تم التعرف عليها في الدراسات الجغرافية للإقليم ككل والمنطقة بشكل خاص (انظر للمزيد ص 90-91). غير انه يبدو في الوقت الحالي أن النظام الغذائي في المدينة قد اعتمد بشكل غالب على المحصولات الفرعونية، ولكنه لا يزال غامضا بعدُ عما إذا تم استخدام أنماط نوبية من النباتات في المدينة أم لا. وباستخدام علم الآثار النباتي يمكننا استكمال أحد الأبحاث التي تتناول موضوع أنماط النباتات التي استمرت من عصور قديمة، وكيف أصاب خصائصها التغيير بمرور الوقت في مدينة عمارة غرب. فتلك النباتات يمكن أن تكشف لنا مدى التمازج ما بين سكان المدينة والنظام البيئي الخاص بمنطقة وادي النيل سواء في الماضي أو الحاضر.

بين الحبوب والقش خلال عملية الدرس. وفي المقابل فإن قمح إيمر والشعير المُقَسَّر كانا عادة ما يحتاجان إلى عملية إضافية بعد الدريش؛ لكي يتم تليص الحبوب من تلك القشور الدقيقة التي تغطيه. وكان هذا لابد من أن يتم قبل أن يتم طحن القمح وتحويله إلى دقيق. ومع ذلك فإن تلك الحبوب ذات القشرة عادة ما توفر حماية أكبر للحبوب من الآفات، وهو ما يعد أمرا مهما بما أن تلك السلع تعدُّ ذات أهمية قصوى، وبشكل خاص عندما يصبح المناخ أكثر جفافا. وقد تم العثور على محاصيل أخرى مثل العدس (*Lens culinaris*) والبطيخ (*Cucumis melo*) والكُثَّان (*Ficus sycomorus*) والجميز (*Linum usitatissimum*) ونخل الدوم (*Hyphaene thebaica*).

ومن خلال حالة الحفظ الجيد التي تمتعت بها بعض الحيوانات بما تحويه من أثاث جنائزي مصنوع من الخشب استطاع مقاومة الزمن، فقد استطعنا معرفة أن التواييت ومساند الرأس والأسرة الجنائزية النوبية عادة ما كان يتم صنعها من خشب شجر الجميز وفي بعض الأحوال تم استعمال نخيل التمر أيضا (*Tamarix spp.*). كما أن كلا النوعين من الأشجار كانا يشكلان المكون الرئيسي للبقايا المتفحمة التي تم استعمالها كمحروقات للأفران والمواقد بجانب نخل الدوم (*H. thebaica*) وشجر النبق (*Ziziphus spina-christi*) وعدة أنواع مختلفة من شجر الصمغ (*Acacia spp.*).

الشديدة لا يجوز التفرقة. فتلك العظام الخاصة بأحد الشباب الذي عانى في حياته من مرض السرطان، والذي ربما نتج عن الهواء الملوث (انظر و للمزيد ص 66) يُستبعد أن يكون صاحبها كان من فقراء سكان المدينة. ولكن ربما نتساءل عما إذا كانت هناك طبقة أكثر فقرا لم يكن بإمكانها اقتناء أي منزل وكان أهلها ينامون في العراء أو في أكشاك خشبية ولم يستطع علم الآثار التوصل إليهم.

كثير من سكان المدينة كانوا إما متخصصي حرف يدوية أو عمالة، كصناع الفخار والأواني الخاصة بالطهي. والبنائين الذين يقومون بتشييد المنازل وتجديدها، وعمال المحاجر الذين يقتلعون الأحجار من أجل المعبد، بجانب هؤلاء الذين عملوا في الزراعة وصيد الأسماك والذين

قاموا بتوفير الغذاء لسكان المدينة. ويبدو أن العالم الاقتصادي الخاص بالمدينة كان غارقا في المحلية تماما. بمعنى أنه لم يكن يتم إعادة توزيع منتجاتهم سواء لمصر أو المناطق المحيطة. ونحن لسنا على يقين بعد من كون المدينة كانت على اتصال باستخراج الذهب من عروق الكوارتز والرواسب الحجرية من التلال والصحاري المحيطة أم لا. مثلها في ذلك مثل كثير من المدن المصرية التي كانت متواجدة داخل النوبة. فيبدو أن هذا الأمر لم يكن من ضمن وظائفها الرئيسية، ولكن تم العثور على رقائق من حجر الكوارتز وأحجار الطحن مغطاة بطبقات من الذهب في المدينة، وهو ما يفترض بدوره أن بعض عمليات استخلاص الذهب كانت تحدث في المدينة، وهو ما يُعد عمل صعب وشاق بلا شك!

المحافظة على العائلة كانت بمثابة العبء المستمر؛ بسبب تلك المسؤوليات التي لا تنتهي أبدا فيما يتعلق بتوفير الغذاء والسلع للاستهلاك اليومي. في زمن لم يكن تعرّف بعد على الوجبات السريعة، ولا تمتلك أي دليل من تلك المدن الفرعونية على وجود محال أو حانات كانت تقوم بتقديم الوجبات الجاهزة. إن إنتاج الخبز – ذلك المكون الرئيسي في طعام المصريين القدماء – كان يستهلك الكثير من الوقت؛ لأن نوع القمح الذي كان يستخدم حينها عادة ما يتطلب المزيد من الوقت لتحضيره أكثر من القمح الموجود الآن في وادي النيل (انظر للمزيد ص 52-53). فحبة القمح لا بد أن يتم فصلها عن القشرة (ربما كان ذلك باستعمال الهون ويد الهون). ويتم التخلص من القشرة عن طريق الغرلة باستخدام الغرغال. وفي النهاية يتم طحن القمح على حجر الطحن (الرحى) لكي يتم تحويله إلى دقيق. كل تلك العمليات كان لا بد أن تحدث قبل حتى أن يتم بداية الطهي. إنتاج الطعام، وغسل الملابس على ضفة النهر، وتحميل إمدادات المياه ربما كان يتم مشاركة مثل تلك المهام ما بين عائلات المدينة. وربما كان يتم استعمال كل الأفراد الذين كان بمقدورهم العمل، ومن بينهم الأطفال. ويمكن أن نعتبر مثل تلك الأمور بمثابة بديل حي لما تم توثيقه في نصوص دير المدينة.

تعتبر آثار آلام المفاصل والأطراف المكسورة من شواهد أسلوب الحياة المتوتر الذي ظهر كثيرا في الهياكل العظمية التي تم العثور عليها في مدينة عمارة غرب، نتيجة لتناكُل العظام وتمزقها بشكل بطيء، وقد امتد لزمان طويل، هذا بخلاف الحوادث المفاجئة (انظر و للمزيد ص 58). لكن من الواضح أن بعض العائلات قد كافحت لتناول طعامًا يحوي مواد غذائية عالية القيمة، وهو ما يمكن الحكم به من خلال البنية القصيرة للعديد من جثامين الأفراد التي تمت دراستها من جبانة المدينة، والتي ربما يمكن إعتبارها إحدى علامات فقر التغذية خلال فترة الطفولة، وبجانب الحبوب، كانت البقول والفواكه متاحة كطعام (انظر و للمزيد ص 52-53). يفترض موضع المدينة كجزيرة نيلية وجود تلك الغطاءات الحجرية التي كانت تستخدم في شبكات الصيد (انظر و للمزيد ص 56-57) ويبدو أن تناول الأسماك كان يعد جزءًا من النظام الغذائي لسكان المدينة أيضا.

مجموعة من صناديق التخزين مرفوعة على منصات حجرية في المنزل رقم E12.10 (انظر للمزيد ص 36-37).

أحد الفناءات المشتركة بين المنزل
رقم E13.3-N والمنزل رقم
E13.3-S الذي كان يستعمل في
طحن الحبوب وطهي الخبز.

ولكن من الصعب معرفة إذا ما كان هذا الطعام منتشرًا على نطاق واسع ما بين السكان أم لا. فربما كان عليه القوم وحدهم هم من كانوا يتمتعون بذلك النظام الغذائي المتنوع والشامل. لقد كانت اللحوم – بشكل قاطع – إحدى علامات الثراء. لكن هل كانت حياة النوبيين أكثر صعوبة من تلك التي تواجدت داخل تلك المدينة المصرية في ذلك الوقت؟ الإجابة: ليس بالضرورة؛ فهناك أماكن مثل تل العمارنة في مصر – والتي تم احتلالها قبل أن يتم نشأة عمارة غرب بجيل واحد على الأقل – قدمت لنا صورًا مماثلة لمثل تلك الحياة الشاقة. تم الكشف عن جانب آخر من جوانب الحياة داخل المدينة بواسطة الاكتشافات التي تحدثت عن أوقات اللهو والتسلية؛ فقد تم العثور على عصي من العاج في إحدى الدفنات. ويبدو أنها كانت قِطْعًا تخصَّ إحدى الألعاب. حيث كان يتم تركيبها على لوحة لعب (واللوحة نفسها تم فقدانها من الرطوبة والنمل الأبيض). كما تواجدت بكثرة في المدينة تلك القطع من الفخار التي كان يتم وضعها على الأرض في أشكال دائرية صغيرة – والتي ربما كانت لعبة يتم استخدامها لتسجيل مجموع النقاط أو كانت تساعد على متابعة المعاملات التجارية اليومية. وهناك أسلوب تسلية آخر يحتمل وجوده، وبشكل خاص بين عليه القوم من سكان المدينة. وهو ممارسة الصيد والفنص على امتداد ضفتي النيل الخصبتين. أو في الصحراء التي تقع خلف الجزيرة – إحدى المواضيع الشائعة في مناظر المقابر المصرية. ففي بعض الأحيان يتم العثور على عظام لحيوانات برية بين عظام الحيوانات التي تم انتشارها من المدينة. فهل بعض من هذه العظام كانت جزءا من حملات الصيد؟ كما وجدت عدة قطع فنية تمثل أشياء من متعلقات الحياة الشخصية؛ فقد تم العثور على قلائد وخرز وتمائم ذات ألوان زاهية، والتي عادة ما كان يتم صنعها من الخزف أو الحجر أو حتى قشور بيض النعام. تلك



صيد الأسماك حول مدينة عمارة غرب

شادية عبد ربه

معظم الموازين التي تم العثور عليها خلال الحفريات تم صنعها من الحجر الصابوني الناعم، وفي بعض الأحيان من حجر الشيست، أو الحجر الرملي أو الفخار. غير أننا لا نعلم المصدر الخاص بذلك الحجر الصابوني، على عكس حجر الشيست الذي يوجد بكثرة في الكثير من أنحاء الجزيرة. فهل تم استيراده خصيصاً لصنع مثل تلك الأدوات؟ عادة ما نعثر على هذه الأدوات مصقولة - ربما عن قصد - ولكن ربما أيضاً بسبب عوامل التعرية.

وقد اتخذت هذه الموازين عدة هيئات - سواء أكانت على شكل أسطواني أو مستطيل - ذات قطوع بنهايات متنوعة (دائرية، ومدببة، ومربعة)، وبشكل عام تبلغ أبعادها 5 سنتيمترات طولاً و11 جراماً وزناً. والسمة المميزة لها هي وجود خطوط محفورة فيها يتراوح عددها بين شق واحد أو اثنين أو ثلاثة، وهو ما يسمح بالحاق أو بتثبيت سنارات صيد الأسماك. ويعتبر ذو الشقين هو الأكثر شيوعاً، ربما لكي يتم التيقن من

لطالما قدمت القنوات النيلية التي أحاطت بعمارة غرب مخزون وافر من الأسماك كطعام لقاطني المدينة، فقد شكلت الأسماك جزءاً هاماً في النظام الغذائي للسكان القدامى للمدينة، أكد علي ذلك تلك البقايا الصغيرة من عظام الأسماك التي تم العثور عليها داخل المنازل. وعلى مدار ستة أعوام من الحفريات، عثر على العديد من القطع الصغيرة من حجر الشيست و الحجر الصابوني واللذان كانا يتم استعمالهما في موازين الأسماك داخل المنازل. وتعد هذه الأدوات أقوى الأدلة التي نمتلكها حتى الآن فيما يتعلق بممارسة صيد الأسماك قديماً. هذا بخلاف عدة خطاطيف صغيرة الحجم مصنوعة من معادن مخلوطة بالنحاس، والتي تعتبر مثالية في صيد السمك. لم يتم العثور على أي أدوات أخرى من أدوات صيد الأسماك كشباك أو عوامات أو سنارات الأسماك، فمثل تلك الأدوات عادة ما كان يتم صنعها من الأخشاب أو الألياف النباتية، وهي في الغالب لا يكتب لها البقاء.



في عمق التفاصيل

تلك الأدوات غير المميزة لا يتم توثيقها جيدا في المواقع الأخرى، غير أن العديد من النماذج قد تم العثور عليها في مدينة بوهين بالنوبة السفلى. ومثل تلك الأدوات العملية عادة ما تتخذ أشكالاً متعددة في المجتمعات المختلفة، والتي تعكس بدورها المواد المحلية المتاحة في صناعتها. وبشكل مثير للاهتمام، فإن فاعلية مثل تلك الأدوات يمكن إظهارها من خلال العمر الطويل الذي تم استعمالها فيه. فبعد أن تم هجران مدينة عمارة غرب بحوالي 2000 عام، وجدنا أن قاطني مدينة كولونبارتي - وهي إحدى قرى القرون الوسطى وتقع شمال مدينة عمارة غرب - يستعملون نفس أدوات التغطيس بشكل متطابق إلى حد كبير. وللأسف، فإن صيد الأسماك على نطاق واسع لم يعد ممارساً في الوقت الحالي؛ فقد انتقل صيد الأسماك بشكل واسع منذ تشييد السد العالي بأسوان إلى المياه الغنية الخاصة بحيرة ناصر.

أن عملية التثبيت سليمة ومحكمة. أما الآخرون ذوو الشق الأوحد يتميزون بشقوق أوسع، وذو الشقين تم ثقبهم بفتحتين، ربما لكي يتم سحب الميزان عندما يتم استخدامها مع إحدى السنارات. فهل يمكن اعتبار الذين خلوا من تلك الشقوق على أنهم غير مكتملين الصنع أو غير مجهزين للاستعمال؟

في أغلب الاحيان عادة ما كان يتم استعمال الموازين لجعل الشباك البدوية تغوص أكثر بالمياه، و خاصة تلك الشباك التي تتخذ الشكل الدائري ويمكن إلقاؤها بواسطة شخص واحد، سواء من منطقة قليلة العمق من المياه أو من قارب. تعمل الموازين على التأكد من أن الشبكة تغوص تحت السطح، وكونها ليست طافية، ولكنها كانت خفيفة الوزن بشكل يسمح لمستخدمها أن يقوم بسحبها بسهولة من قاع النهر المليء بالوحل، وربما قد تم استعمالها أيضا بالتزامن مع الخطاف؛ حيث تم العثور عليهم مجتمعين في المكان نفسه أحيانا.



عظام محطمة والوفاة في سن صغيرة

ميكالابيندر



الكامل في الوقت الذي وانتهت فيها المنية. وذلك بدوره يمكن أن يفترض أن وفاتها كانت - حتى ولو بشكل جزئي - مرتبطة بعدة جروح في الجزء العلوي من الجسم، والذي كان له تأثير كبير على رئتيها وعدة أعضاء داخلية أخرى. ورغم تعدد أماكن إصابتها فإن تلك المرأة استطاعت أن تحيا على الأقل أسبوعين أو ثلاثة قبل وفاتها، الأمر الذي قد يفترض وجود نوع من الرعاية التي قُدِّمت لها داخل المجتمع الذي كانت تعيش فيه. هذا إلى جانب وجود مؤشرات تؤكد الإصابة ببدء المفاصل التنكسية، إحدى المؤشرات التي تنتج عن الإجهاد البدني في العمل. فذلك البرهان يفترض أن ذلك المجتمع الذي يعمل أغلب أفراده في الزراعة كان يصارع مخاطر يومية تتعلق بقدرته على مواصلة الحياة في بيئة تفرض عليه الكثير من التحديات.

دراسة الموتى يمكن أن تخبرنا عن حياتهم؛ فمعالم العظام يمكن أن تدلنا على العمر عند الوفاة أو بعض الأمراض أو الجروح، وتحديد ما إذا كان الجنان لرجل أو امرأة. في مدينة عمارة غرب، تم الكشف عن حوالي 250 جنمان ما بين 2009 إلى 2014. هذه الهياكل العظمية محفوظة الآن في المتحف البريطاني، لدراستها نسبة كبيرة من الأفراد واتهم المنية قبل أن يتموا 35 عاما من أعمارهم، وهو ما يشير إلى أن البيئة المحيطة كانت تتميز بكونها غير صحية للحياة بها. تعدد معرفة السبب الدقيق للوفاة أمراً بالغ الصعوبة، ولكن الخلفية البيئية وأساليب المعيشة يمكن أن يقدم لنا لمحات عن أسباب الوفاة في تلك المدينة. بما أنها تقع على ضفاف النيل، عادة ما كان يصيب المنطقة العديد من الأوبئة مثل الملاريا أو البلهارسيا (وهو مرض مزمن ينتج عن التعرض إلى ديدان طفيلية، وما زال منتشرًا في إفريقيا حتى الآن). لقد ساهمت بقايا القمامة والمخلفات العضوية في الممرات التي كانت تتواجد بين المنازل في تقديم أرضية مثالية تتغذى عليها الحشرات الضارة والقوارض التي تنقل الأمراض. إن التواجد القريب من الحيوانات - في المنازل والممرات والحقول - كان له من الأثر الكبير في تسهيل انتشار الأمراض مثل الدرن وأنواع كثيرة من الحمى. عدد كبير من الأفراد كان لديهم دليل على وجود رواسب عظمية جديدة في الضلوع وفي التجاويف، وهي تشكل إحدى العلامات المزمنة الخاصة بعدوى الجهاز التنفسي.

كشفت تلك الهياكل العظمية أسلوب حياة تحفها المخاطر إلى حد كبير؛ حيث وجدنا أن عددًا كبيرًا من الأفراد كانوا يعانون من عدة كسور في العظام. الصورة توضح عظام العَضُد من ذلك الهيكل العظمي المأخوذ من (grave 211): إحداها تشير إلى عظام مكسورة تم معالجتها. مثل تلك الكسور العظمية كانت نتاج حوادث مختلفة وليست نتاج عنف بدني أو معارك حربية. تسلق أشجار النخيل الطويلة، والممرور على أرضيات وأسقف الدور العلوي المعلقة، والتعامل مع أعداد كبيرة من حيوانات الرعي. كل مثل تلك الأنشطة كانت محفوفة بالأخطار، فهناك مثال لامرأة (sk237) تنتمي مقبرتها إلى فترة ما بعد الدولة الحديثة، والتي توفيت ما بين 36 و 50 عاما. وقد تكبدت جروحا كثيرة في عظام الصدر وفي أماكن متفرقة من أضلاعها بفترة قصيرة قبل الوفاة. إن انتقال العظام نحو حواف الكسور يشير إلى أنهم لم يتم شفاؤهم بالشكل



قلادة من خرز القاشاني
وججر العقيق الاحمر تم
العثور عليها أثناء الحفريات
في المنزل رقم E13.6.

المواد المتوافرة محليا في المدينة كانت جزءًا من أساليب التزيين الشخصية، تم استعمالها لجعل مرتديها من الرجال والنساء والأطفال يشعرون بالتميز والبهجة، وفي بعض الأحيان كانوا يظهرون شعارات أو علامات تتعلق بالوسائل السحرية التي استعمالها سكان المدينة لمواجهة المخاطر اليومية وتجنب سوء الحظ. فعلى سبيل المثال، كانت تحدث هجمات من الحيوانات مثل التماسيح والنعابين والعقارب وأسراب الذباب الأسود (نيميتي) ومازالت تحدث حتى الآن في المنطقة، وكانت الأمراض تعدُّ تهديدًا خطيرًا ومستمرًا قبل اكتشاف المضادات الحيوية، الخصوصية وحماية الأطفال واستمرار نسل العائلة، كل ذلك كان من الاهتمامات الشائعة بين السكان، في عالم كانت معدلات وفيات الأطفال كبيرة فيه، المعبود بس – الذي عادة ما يجمع شكله ما بين الأسد والقزم الصغير – كان يعتبر بشكل خاص حاميًا للأطفال، وكان معروفًا في المدينة ويمكن الاستدلال على وجوده من إحدى القلائد التي تم العثور عليها في عمارة غرب. وقد تم العثور أيضًا على تماثيل صغيرة مصنوعة باليد من الطين تمثل نساء عاريات (في بعض الأحيان نجد نماذج شديدة البراعة) والتي يمكن أن يكون قد تم استعمالها في طقوس تتعلق بالخصوبة (انظر وللمزيد ص 64-65).

مصادر التهديد لم تكن فقط تلك المنتمية للعالم المحسوس حولهم؛ فقد اعتقد المصريون في عالم غني من الوسائط الروحانية التي يمكن لها أن تجلب النفع على الأحياء، ولكنها أيضا قد تتسبب في الأذى إذا ما أسبى استعمالها، ومن بين تلك المصادر "المتوفى الساخط". ذلك التمثال النصفي الذي يمثل أحد الأسلاف، والذي عثر عليه في منزل (E13.3-S) والذي كان يتم عدُّه مركزًا اهتمام من قبل مريديه، متقبلًا منهم القربانين من طعام وشراب، وربما أيضا الصلوات، يفترض المكان الذي تم العثور عليه فيه عند نهاية المنزل أن مريدي هذا التمثال كانوا من العائلة نفسها، ولم يتم مشاركته بشكل واسع مع زائرين خارج نطاق العائلة التي سكنت المنزل، فربما شكلت عملية تذكير أعضاء العائلة أمرًا مهمًا في هذه المدينة، بشكل خاص للمصريين الذين كانوا يعيشون بعيدًا عن أوطانهم، في حين ان عملية إرضاء السلف كانت تقوم بالمساعدة على التأكد من أنهم رحلوا عن هذا العالم في أمان وسلام، ولكن بمرور الزمن انقطع مريده عن تقديم فروض الولاء، وتم إلقاء التمثال خلف جدار مسدود، فهل كانت العائلة تفقد شيئًا فشيئًا تلك الروابط العائلية القديمة؟

الحياة النوبية، والحياة المصرية.

وجهات نظر عن العالم

كيف كان يبدو التعقيد الثقافي في مدينة عمارة غرب؟ من الشكل الظاهري في العمائر الخاصة بها، يبدو أن المدينة قد خلّفت بصمة ثقافية، تبدو تماما كأنها مصرية في أغلبها. مثل استعمال الجدران السمكية المصنوعة من طوب الطين والتصميمات الداخلية والخارجية للمنازل. إحدى الأمثلة الاستثنائية النادرة ذلك المنزل ذو التخطيط البيضاوي الذي يعد معروفًا ومألوفًا في التقاليد المعمارية النوبية أكثر من نظيرتها المصرية (انظر للمزيد ص 40).

وعندما ننظر بشكل أكثر دقة للموقع والأدوات التي قام باستعمالها السكان خلال حياتهم اليومية داخل المنزل، نكتشف صورة أكثر تعقيدًا من التفاعل الثقافي: فمن بين تلك الأواني المحروقة من الخارج التي تم استعمالها كأوعية للطهي نجد ان عدد كبير منها قد تم صناعته على الطراز النوبي. وقد تزايد وجود هذه الأوعية النوبية مع مرور الزمن (انظر للمزيد ص 62-63). فهل كان النوبيون يتفاعلون مع هذه المدينة باعتبارهم صناع أوان فخارية أو حتى قائمين على أمور الطهي؟ وهل يمكن أن يشير هذا إلى وجود طرق وأساليب نوبية في تحضير الطعام اتبعها المصريون داخل المدينة؟

يظهر التفاعل الثقافي بشكل أكثر واقعية في مجموعة المدافن التي عثر عليها في الجبانة الخاصة بالمدينة (انظر للمزيد ص 74-75). من الصعب أن نستدل من بقايا الهيكل العظمي على ما إذا كان هذا الشخص مصريًا أو نوبيًا أو من أصول مختلطة. ولكن الواضح أن مقابر الأفراد عادة ما كانت تجمع بين عناصر كل من التقاليد الجنائزية المصرية (مثل الأهرامات والتوابيت التي تحاكي جسد المتوفى) والتقاليد الجنائزية النوبية (مثل الوضع المنحني لجسم المتوفى والدفن فوق سرير) ووُجد مثل هذا الدمج بشكل قوي في الفترات التي تلت اتخاذ المدينة مكانًا للسكن: فعلى ما يبدو أن السكان قد اختزلوا أقوى الرموز التي يمكن أن تعبر عن شخصياتهم - غير مبالين بكم التعقيدات الثقافية - من أجل طقوس الوفاة الخاصة بهم.

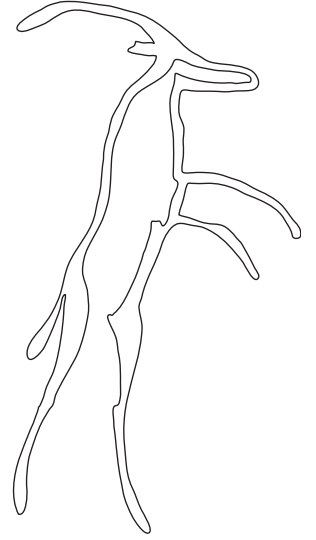
ففي حقيقة الأمر، نحن نحاول جاهدين توضيح كيف رأى سكان مدينة عمارة غرب العالم حولهم. الكثير منهم كانوا لا يد من أنهم قضوا كامل حياتهم على تلك الجزيرة الصغيرة، وكانوا على علم بالعالم الذي يقع ما وراء جزيرتهم من خلال البضائع والسلع التي كانت تأتيهم، ومن المراسلات المصرية على أوراق البردي أو قطع الفخار (الأوستراكا)، وأيضًا من خلال الزائرين. سواء أكانوا موظفين مصريين، أو جنود رحالة، أو تجار، أو مجموعات من بدو الصحارى. فما نوع المعتقدات التي غلفت عالمهم؟ على سبيل المثال، فجماعة مثل جماعة المعبد كان لا يد من أن لديها نزعة قوية تجاه الثقافة الدينية المصرية، والتي انعكست بدورها على ممتلكات تلك الجماعة من لوحات وتمائيل داخل المنازل. فمن الواضح أنها كانت جزء من المكونات الثقافية المصرية الدينية السائدة. كما يوجد برهان قوي على ان قاطني المدينة لم يكونوا بمعزل عن تلك المؤثرات المصرية التي شكلت وجدان المصريين داخل القطر المصري، وهو ما تم تأكيده باكتشاف منسوخات من القصيدة المصرية. تعاليم الملك أمون أم حات (انظر للمزيد ص 18).

أحد الأواني النوبية المخصصة للطهي من منزل رقم D12.5.



فقد تركت قنوات الاتصال الثقافية المصرية (كالفن، وجماعة المعبد، والكتابات) طابعًا ماديًا ملموسًا بقوة، والتي عادة ما كان يتم التعامل معها في المدينة على كونها أعلى درجات المثالية. وفي المقابل، فإن اللغة النوبية لم تكن تُكتب في هذا الوقت، وربما كان يتم التعبير عن الرؤى المحلية للعالم بشكل مختلف تمامًا، فعلى سبيل المثال، من خلال التقليد الشفاهي أو الرقص أو الملابس أو أسلوب تصفيف الشعر. تلك الأساليب التي لا يستطيع علم الآثار تعقبها بسبب ندرة ما وصل إلينا منها، ومع ذلك فقد عثرنا على دلائل مصنوعة بدقة من العظام، قدمت لنا نظرة عن أساليب التزيين الشخصية النوبية، كما يمكن للأشكال الرمزية التي نقشت على سبطوح الأواني تقديم لمحات عن الثقافات الفنية المحلية المتبقية لنا؛ فقد تم توضيح هذه العلامات بشكل أكثر تفصيلاً من نظيرتها المصرية، وهو ما يمكننا اعتباره مساهمة محلية في ترويج السلع، وأيضاً كاستحسان وقبول لتلك التعبيرات الثقافية النوبية في حد ذاتها. ومن بين تلك التماثيل الصغيرة الأثوية وُجِدَت عدة نماذج تشير تفاصيل صناعتها إلى نموذج لم يتم التعرف عليه من قبل في المواقع المصرية، ربما تكون تماثيل نوبية، ويمكن اعتبارها أعمالاً فنية معقدة صغيرة الحجم أكثر من مجرد أشكال مبسطة من نماذج الفن المصري (انظر للمزيد ص 64-65).

لقد تم إنشاء مدينة عمارة غرب بلا شك لكي تعكس الاهتمامات المصرية في النوبة، ولكن حياة الأفراد عادة ما لا تتبع أي قواعد، فتطور العلاقات بين الأشخاص والسكان الأصليين ربما كان في حاجة إلى أدوات وحلول عملية، وبالطبع كل منهم كان لديهم ميل نحو الأشياء الجميلة والمتطورة التي بدورها غيّرت الأفكار السائدة لدى أصحابها الأصليين. البعض منهم فضل أن تتم عملية دفن جثمانه في النموذج النوبي، ولكنه أخذ معه في القبر تماثيل مصرية تخص المعبود بس المصري. وربما لفت الثقافة المعرفية المحلية الخاصة بأساليب الولادة والخصوبة استحساناً من المصريين.



منظر لغزال أو تيتل منقوش على إحدى أواني التخزين الكبيرة المصنوعة من الفخار.

اليمين

دلالية (بروش) تعلق على الصدر، وقد تم صنعها بعناية بالغة، ربما ليتم وضعها على إحدى قطع الملابس للتزيين.



صنع واستغلال الفخار

آنا جارنت

الأدبي المصري الشهير «هجاه المهين» « بشكل كاريكاتيري غير مُستحب فيصفونه بأنه أكثر وحلا في الطين من ذلك الخنزير المدفون تحت أرضه، ملابسه متصلبة كقطع الحجر، وعصابة رأسه ممزقة، والهواء الذي يدخل أنفه يأتي مباشرة من الفرن الخاص به»

ربما تم إنتاج معظم الأواني التي تم العثور عليها في عمارة غرب نفسها أو تم استيرادها من مصر، مقتبسين في ذلك الأشكال الفنية التي كانت شائعة في مصر حينذاك. سواء أكانت مصنوعة من الطين الذي يتم جمعه من على ضفتي النهر أو من طفلة الطين الموجودة بالصحراء. هذه الأشكال المصرية كانت تتم صناعتها باستخدام عجلة الفخاراني. علي العكس، من (التوبية) المحلية التي كان يتم تشكيلها بواسطة اليدين. وكانت معظمها أنية كبيرة للظهي، وبحانب ذلك كانت هناك أيضا أنية تم صنعها بدرجة عالية من الإتقان والجودة. وقد طورت أساليب مهجنة أو مختلطة؛ فقد وجدنا أواني ذات شكل مصري ولكنها مصنوعة باليدين وليست باستخدام العجلة. فهل تم صنعها بواسطة نوبيين؟

إن دراسة مثل تلك الأجزاء الفخارية، وأين تم العثور عليها، يمكن أن تقدم رؤى فيما يتعلق بكيف تم استغلال المساحات على مر الزمان، وكيف تعيّر ذلك. فعلى سبيل المثال، تؤكد قطع الفخار الصغيرة التي كانت جزءًا من أواني الظهي وصواني الخبز على وجود أماكن لإنتاج الطعام، وبخاصة عندما يتم العثور عليها في أماكن الأفران ومواضع الطحن. فقد كان يتم وضع الأواني الكبيرة داخل حُقر في أرضية المنزل لتخزين الطعام أو للحفاظ على الأشياء الثمينة (انظر للمزيد ص 60). ويمكن تمييز مخلفات أحواض الأفران ذات الكثافة العالية بسهولة من بين مخلفات القمامة، ويمكن لها أن تكشف لنا كمًا كبيرًا من المعلومات حول المدى الزمني الذي يمكن أن يتم استعمال تلك الأنية الفخارية بمرور الوقت، حتى وإن لم نستطع أن نجزم في أي غرفة أو منزل كان يتم استخدام تلك الأواني. كما تم تصنيع بعض الفخار خصيصًا من أجل أغراض الدفن، لكي يضمن للمتوفى وجود إمدادات سمرمدية من الطعام والشراب بجانبه.

تُعد آلاف القطع الفخارية الصغيرة التي نقوم بدراستها كل عام هي ما تبقى لنا من الأواني التي كان يتم استخدامها بواسطة قاطني المدينة لتخزين أو لنقل السلع الخاصة بهم، ولكن أيضا كانت تستعمل في تقديم وتناول الطعام والشراب. فهي تقابل لدينا الآن الأواني المصنوعة من الألمنيوم والأكواب الزجاجية والصناديق البلاستيكية.

من هم صناع ذلك الفخار؟ لقد تم العثور على فرن دائري الشكل تحت المنزل (E13.8) والذي كان بدوره يتم استعماله في صناعة الأواني الصغيرة؛ وهو عمل شاق ينبعث منه الكثير من الدخان. وقد تم تصوير الذين يقومون بمثل هذا النوع من العمل في النص



في عمق التفاصيل



على الرغم من كونه نادرًا نسبيًا، فقد عثرنا على فخار تم صناعته من الطين والذي أمكن أن يتم التحقق من مصدره (بواسطة التحليل الماكروسكوبي والميكروسكوبي) من الواحات المصرية أو بلاد الشام. كما تم العثور على مجموعة من الأبيات الأثرية التصميم ذات اليدين مع الفوهة في خرائب المدينة، ومن المرجح أنه قد تم استخدامها لتخزين زيوت أو دهون فاخرة. وقد أوضح تحليل النشاط النيوتروني الذي يستخدم في قياس العناصر الموجودة في الخامات الأولية لتلك الأوعية= أن تلك الأواني قد تمت صناعتها في قبرص والأراضي اليونانية، وأنها ليست مجرد محاكاة تم إنتاجها في مصر. تلك الاكتشافات الصغيرة يمكن أن تساعدنا على كشف إحدى القصص المعقدة عن شبكات التجارة والمؤن، مؤكدة بذلك على أن مدينة عمارة غرب لم تكن بعيدة بالقدر الذي يتم عزلها عن البلاد المحيطة بها، بل كانت تتبادل تجارة المواد و«الأفكار» مع أجزاء مختلفة من وادي النيل، وحتى مع الجزء الشرقي من البحر المتوسط.

العائلة ومعدلات الخصوبة والتماثيل الصغيرة

آنا ستيفنز

طقوس حماية الأطفال والولادة والخصوبة. وكانت من بين الأكثر شيوعاً تلك التماثيل الصغيرة التي تصور أنثى عارية، فقد تم العثور على أكثر من 30 تمثالاً بين منازل عمارة غرب، معظمها اتخذت شكل قطع حجرية مستطيلة مسطحة الشكل، مصنوعة يدوياً من الطين، وكان يتم تعليم أو إبراز أو حتى لصق أشكال مصغرة من مثلث الفرج والثديين وسرة البطن على تلك التماثيل. وفي بعض الأحيان كان يتم عمل نماذج من الرأس يحيط بها مجموعة من الحلبي على شكل خطوط أو نقاط محفورة، وبعض التصميمات وضع عليها وشم أو خدوش محفورة في الطين المحروق. لم يكن عادة يتم إظهار الأطراف، فالتأكيد هنا كان ينصب أكثر على الجوانب التي تشير إلى جنس التمثال. ونفترض أن مثل هذه التماثيل كان يتم استغلالها في الطقوس المرتبطة بالأمور الخاصة بالخصوبة وربما كانت بمثابة أحجية تساعد في الحمل.

تستوقف هذه الأشكال المصنوعة من قطع حجرية صغيرة النظر لما يتعلق بكيفية تشكيل صورة الأنثى

كانت الحياة على امتداد نهر النيل صعبة وبشكل خاص للأطفال في العمر الصغير. لذلك شكّلت أمراض الطفولة والأمراض المعدية والحوادث تهديداً حقيقياً في مدينة مثل عمارة غرب. حوالي 33% من الأفراد في عمارة غرب ماتوا قبل أن يتموا السادسة من عمرهم خلال القرنين التاسع والعاشر قبل الميلاد؛ (فقد تم العثور على دفنات قليلة لشبه البالغين والمؤرخة بالدولة الحديثة). وبالطبع يعد وقت الولادة مليئاً بالأخطار للامهات أيضاً.

لقد خلّف إلينا المصريون القدماء الكثير من النصوص الطبية والسحرية التي تخبرنا عن المسائل التي كانت تقلقهم فيما يتعلق بصحة الأم والطفل؛ فقد وُجدت تعاويذ تساعد في عملية الحمل ومنع الإجهاض وتحفيز الولادة، وبعض منها كان يتوقع وفاة الوليد أو حياته. وقد كانت تلك التعاويذ المستخدمة في حماية المواليد والأطفال شائعة الاستعمال، فعالم الأحياء كان غنيّاً بصور عديدة من المعبودات المقدسة الخاصة بالحماية، هذا بخلاف المواد المستعملة في



في عمق التفاصيل

الأحمر في حين تم طلاء مثلث الفرج باللون الأسود المنقط. كما تم تعليم مكان سُرَّة البطن، والفراغ في الطلاء يشير بوضوح إلى أماكن الثديين التي كانت يوماً ما موجودة على التمثال. تبدو هيئة التمثال وكأنها - إلى حد ما - مصرية، ولكنها تذكرنا بذلك التقليد القديم في صناعة واستعمال التماثيل الأثوية الصغيرة في النوبة.

كان يتم استعمال تلك التماثيل الأثوية في مدينة عمارة غرب كأدوات تُمكِّن السكان من المحاربة ضد الأخطار التي كانت تحيط بهم؛ فهي بذلك تعكس أسلوب تناول مسألة الصحة الشخصية بشكل مغاير لعالم اليوم، ولكن في الوقت نفسه تُعدُّ تذكراً مثيراً للعواطف والشجن لما يتعلق بمسألة تكوين العائلة والحفاظ على الأطفال من كل مكروه، وهو أمر شائع، ويشملنا كنا كسلوك بشري عام.

بشكل مختلف جداً عن أسلوب تجسيد المرأة في الفن المصري التقليدي؛ فربما كانت هذه التماثيل تعكس أحد التقاليد الشعبية. وبرغم من البساطة التي قد تبدو في مظهرها الخارجي فربما كان يتم استعمالها كنظير يحمل الكثير من القدرات الهائلة؛ فقد كان الطين يمثّل لدى المصريين القدماء إحدى المواد التي ترمز للحياة وبداية الخلق والخصوبة. كانت المجتمعات المصرية معروفة بكونها ضمت مزاويلين لمثل تلك الطقوس السحرية مثل العرافين وصناع التماثيل. فهل تواجدوا في مدينة بعيدة مثل عمارة غرب؟ أو كان سكان المدينة يعتمدون بشكل كبير على الخبرات المعرفية المتوارثة من عائلاتهم؟

كما تواجدت بعض التماثيل في مدينة عمارة غرب والتي تميزت بكثرة التفاصيل؛ فقد تم تصميمها لتحتوي تفاصيل من كل زاوية للرؤية، والقدمان تم ضمهما لبعضهما البعض في وضع شبه الجالس. مع ملاحظة كبر حجم الفخذين والردفين. كما تم العثور على أحد التماثيل الذي تم نحته بدقة باللغة وتم طلاؤه باللون



مرض السرطان في المدينة القديمة

ميكالا بيندر

توفي ذلك الرجل الشاب من مدينة عمارة غرب (Sk-8 244) ما بين عمر 25 و 35، وتم دفنه بجانب آخرين - ربما كانوا من أفراد عائلته - في مقبرة تحتوي على غرفة دفن كبيرة (G244) في الجبانة (C). تم وضع الجثمان في تابوت مزخرف من الخشب، وتم وضع حجر الجعران ذو التصميم المصري في يديه. من الملاحظ أن عظام الجزء العلوي من الجسد مليئة بعدد هائل من الثقوب، يبلغ قطرها حوالي 5-25 ملميمتر. وباستخدام الأشعة المقطعية أمكن رؤية عدد أكبر من الثقوب تحت السطح. هذه الثقوب كانت نتاج مرض السرطان الذي انتشر من ورم خبيث بالمعدة في الأنسجة الرخوة. ولم يكن في استطاعتنا تحديد مكان الورم الخبيث سواء كان في الرئة أو الصدر أو المعدة أو أي عضو آخر، ولكن البيئة الحياتية الخاصة بذلك الشاب يمكن أن تعطينا بعض اللمحات عن تلك الأسباب التي تقف خلف إصابته بهذا المرض. البلهارسيا التي تعد أحد الأمراض الطفيلية التي كانت ومازالت تعد إحدى أكبر المشاكل الصحية في وادي النيل= يمكن أن تسبب سرطان الصدر للرجال. الدخان الناتج عن حرق الأخشاب داخل المنازل يمكن أيضا أن يكون ذا تأثير سلبي على الصحة وبشكل قد يقود إلى الإصابة بمرض سرطان الرئة. وفي مدينة عمارة غرب، احتوت كثير من المنازل على أفران للخبز تم وضعها في غرف مسقوفة، والتي بدورها كانت تمتلئ بسرعة بالدخان، معرضة سكان المنزل بشكل كبير ومحتمل لمركبات خطيرة ومؤذية للصحة.

يعتبر تفهّم تاريخ وتطور مرض السرطان والبولعث التي تقف خلف الإصابة به في الفترة التي عادة ما نعتبرها فترة ما قبل الحداثة فيما يتعلق بوسائل معيشتنا، من الأهمية بمكان ليس فقط بالنسبة لدارسي علم الآثار ولكن للقائمين على الأبحاث الطبية أيضا. فالهياكل العظمية الخاصة بالجنائين البشرية، والتي يمكن توثيقها تاريخيا وآثاريا جيدا، ويمكن التعرف على البيئة المحيطة بها، تعدّ عنصراً رئيسياً في فهمنا لكيفية تطور هذا المرض على مر الزمان. وربما يعد هذا الأمر جوهريا في المستقبل لتطوير إستراتيجيات بحثية جديدة وأدوات أكثر تطورا للعلاج من أجل أن يتم محاصرة ما أصبح اليوم أكثر الأمراض المسببة للوفاة في عالم اليوم.

في عام 2013، تم العثور على هيكل عظمي لرجل شاب من المقبرة 244 في مدينة عمارة غرب (انظر للمزيد ص 82-83). فقد كشفت التحاليل أن هذا الرجل قد توفي إثر إصابته بمرض السرطان، ويعتبر هيكله العظمي أقدم هيكل عظمي كامل يحمل بهائاً على وجود هذا النوع من مرض السرطان في العالم.

يعدّ مرض السرطان الآن ثاني الأسباب الرئيسية في الوفاة على المستوى العالمي، ولكن تم التعرف على نماذج قليلة جدا من حاملي مرض السرطان في العصور القديمة. ومن المعروف أن الكثير من أنواع مرض السرطان مرتبطة بشكل أو بآخر بالأحوال المعيشية الحديثة، وبشكل خاص التدخين والتلوث البيئي. مثل تلك البولعث لم يكن لها تأثير في الماضي للدرجة التي تتواجد بها الآن في مجتمعاتنا. ومن المعروف أيضا أن مرض السرطان عادة ما يعتبر أحد الأمراض التي تصيب الفئات الأكثر تقدما في العمر، وما نعرفه عن المعدل المنخفض لسنوات الحياة في العالم القديم يرجع إلى الأمراض المعدية وأمراض سوء التغذية لكن ثمة عدد قليل من الأفراد كانوا يعيشون طويلا بالقدر الكافي لتطوير مرض السرطان في أجسامهم. وأخيرا، يعدّ تشخيص مرض السرطان في الجنائين البشرية الأثرية شديد الصعوبة؛ وذلك لأن هذا المرض عادة ما يصيب الأنسجة الرخوة والتي نادرا ما تبقى عبر الزمان.



على الشمال
عقد من حجارة
العقيق والقاشاني
وبيض النعام وجد
داخل أحد المقابر.



الاعداد للخلود

ميكالا بيندر





الصفحة السابقة
الحفريات التي جرت في أحد غرف
الدفن الخاصة بالمقبرة G244.

عادة ما نعتبر الطريقة التي نتعامل بها مع موتانا أحد التعبيرات الرئيسية التي تميز ثقافة السلوك البشري، ولها جذور عميقة في المفاهيم الروحانية والمعتقدات الدينية. الموقع الخاص بعمارة المقبرة وتخطيطها، ونماذج التجهيزات الجنائزية، وتجهيز جسد المتوفى ومعالجته. كل مثل تلك الأمور يتم تقريرها وفقا لعدة عوامل: الهوية القومية، والحالة الاجتماعية، والعمر، والجنس، والنظام والمعتقدات الدينية. ويبدو أن الاعتناء بالموتى واعتباره أمرا بالغ الأهمية كان من أهم سمات كلا الثقافتين النوبية والمصرية. وهو ما يتضح جليا في تلك المقابر الأنيقة المزخرفة، والأثار الجنائزية، وأساليب التحنيط، والمعابد التي أقيمت على امتداد وادي النيل. مثل تلك الأمور التي تتناول معتقدات الحياة بعد الموت، والطقوس التفصيلية التي تضمن البعث والسعادة للمتوفى = قد تم توثيقها في المصادر الأثرية والنصية والرسومات الخاصة بمصر القديمة بشكل تفصيلي. وفي المقابل، لم تخلف لنا النوبة أي مصادر مكتوبة توضح معتقداتهم الجنائزية؛ ولذا فيجب أن نعتمد على البراهين الأثرية، كمحتويات المقبرة، والتعامل مع جسد المتوفى والتجهيزات الجنائزية الخاصة بالمقبرة.

جبانات مدينة عمارة غرب

تم الكشف عن ستين قبراً في الحفريات حتى الآن في مدينة عمارة غرب، والتي بدورها ما زالت تقدم لنا رؤى هامة عن العالم الروحاني الخاص بسكان مدينة عمارة غرب، وبشكل خاص أسلوب معالجتهم وتقبلهم لفكرة الحياة بعد الموت. تعطينا لنا هذه المقابر أيضا منظورا إضافيا لما يتعلق بالتماذج الثقافي ما بين كل من مصر والنوبة. تم استغلال مكانين أساسيين لدفن الموتى في المدينة: الجبانة (C) التي تقع في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة، والجبانة (D) التي تقع في الجزء الشمالي الغربي. كلا الجبانتين تم اختيار موقعهما في الجزء الشمالي من إحدى القنوات النيلية القديمة، وعندما تفيض تلك القناة كانت تقوم بعمل حدود طبيعية ما بين الجبانة والمدينة. غير انه يجب أن نذكر أنفسنا أن مثل تلك الجبانات كانت بمثابة أماكن للمعيشة أيضا.



تسجيل الهياكل العظمية في
غرفة الدفن الخاصة بأحد المقابر
(G243) في الجبانة C.



الحفريات في الجبانة C.

وبخاصة خلال الفترة التي يتم تجهيز المقبرة وتحضير طقوس الدفن. وفي المناسبات المختلفة، والتي كان يتم وضع القرابين في المقبرة من قبل أعضاء عائلة المتوفى.

تقع الجبانة (D) على جُرف صحراوي يطل على المدينة، وهي تشمل مساحة تبلغ حوالي 6,5 هكتار، محددة ببروز صخري مرتفع يمتد إلى الشمال، وينحدر بشكل منجرف نحو القنوات النيلية التي تمتد من الجنوب والشرق. لم يكن قاطنو مدينة عمارة غرب أول من استغل الجُرف لدفن موتاهم؛ حيث تم العثور على عدد قليل من المقابر التي ترجع إلى الفترة الوسيطة من حكم كرمة، والتي عادة ما تُؤرخ بحوالي (1750-2050) قبل الميلاد. أما مقابر الدولة الحديثة فقد تم بناؤها بجوار تلك المقابر المبكرة، والتي كانت مازالت واضحة للعيان حينذاك. فهل كان اختيار هذا الموقع يعكس بشكل أو بآخر روابط نسب مع السكان النوبيين المحليين؟ أو هل كانت بمثابة ممارسة رمزية لكي يتم التعبير عن المالك الجديد لهذه المنطقة؟

تم إنشاء الجبانة الثانية (C) في محيط مختلف تماما، فهي تقع على إحدى المصاطب النهرية الغربية المنخفضة، وتبلغ مساحتها حوالي 2,5 هكتار، وقد تم تحديد الجبانة ببروز صحراوي يمتد إلى الشرق، عند أحد الأودية (النانج عن قناة مائية جافة) ويمتد نحو الغرب إلى القناة النيلية في الجنوب. تم التعرف على 100 قبر باستخدام المسح الجيوفيزيائي، رغم أن المنطقة قد تأثرت بشكل سيئ بعوامل التعرية التي تسببها الرياح. فالمقابر التي تقع في نهاية الجزء الشمالي من الجبانة قد تآكلت لتصل إلى 0.80 تحت مستوى المسطح الحالي، رغم أن تصميمها يفترض أنها كانت في وقت من الأوقات تقع بشكل ملحوظ في مستوى أعمق من هذا. وفي نهاية الجزء الجنوبي، عند حدود الجبانة التي كانت تقع فيها تلك القناة النيلية الجافة، والتي كانت - بلا شك - يوما ما تجري بها المياه وتفيض = تم بناء بعض المقابر بالقرب منها، كما تم التأكد من أن بعض غرف الدفن قد تم غمرها وتحطمها من جراء الفيضانات الموسمية.

كلا الجبانيتين قد تم استغلالهما في الوقت نفسه، منذ أقدم وقت من مراحل الاستقرار بالمدينة، حوالي 1300 قبل الميلاد، إلى ما بعد ذلك، والسبب الذي دفع قاطني المدينة إلى استعمال موقعين متفرقين معا في وقت واحد لدفن موتاهم لم يتم تفهمه بشكل كامل، ولكن يبدو أن الدوافع التي كانت تقف خلف

هذا القرار تتعلق بالطبقة الاجتماعية أو التمييز العرقي. ورغم ذلك فإن أغلبية المقابر في كلا الجبانتين يتم تأريخهم خلال القرون الثلاثة التي تلت نهاية الدولة الحديثة. فقد استمرت حركة الدفن بشكل يبدو غير متغير في القرن العاشر والتاسع والثامن قبل الميلاد. تلك الحقبة الزمنية التي لم يتم العثور على أي من عمائرهما حتى الآن في المدينة.

معابد مخصصة من أجل الموتى: عمارة المقابر في عمارة غرب

احتلت المقبرة في المعتقد المصري القديم دورا مركزيا. باعتبارها البيئة المحسوسة أو المادية التي تؤهل للحياة في العالم الآخر. فهي لا توفر المكان الأخير لراحة المتوفى فقط. ولكنها أيضا تمثل المكان المناسب للجماعة الدينية لممارسة طقوسهم لكي يضمّنوا بها الحياة الأبدية للمتوفى. وبناء على ذلك، فإن أي مقبرة كان يتم تصميمها. سواء فيما يتعلق بشكلها الخارجي. أو تخطيطها الداخلي. أو الموقع الخاص بها. كان يراعى فيها تلك الاعتبارات الروحية الدينية. هناك مكونان رئيسيان عادة ما يمكن تمييزهما؛ هما البنية التحتية المخصصة للدفن، والبنية العلوية المتاحة لجماعة المتوفى عند زيارته. تنوع الأشكال المعمارية الخاصة بتلك العناصر بشكل واضح على مدار التاريخ المصري القديم، ولكن وفقا للطبقة الاجتماعية الخاصة بالمتوفى أيضا؛ فقد حرص عليه القوم على التعبير عن مكانتهم الاجتماعية باستخدام كل وسائل البذخ والترف المتاحة لهم.

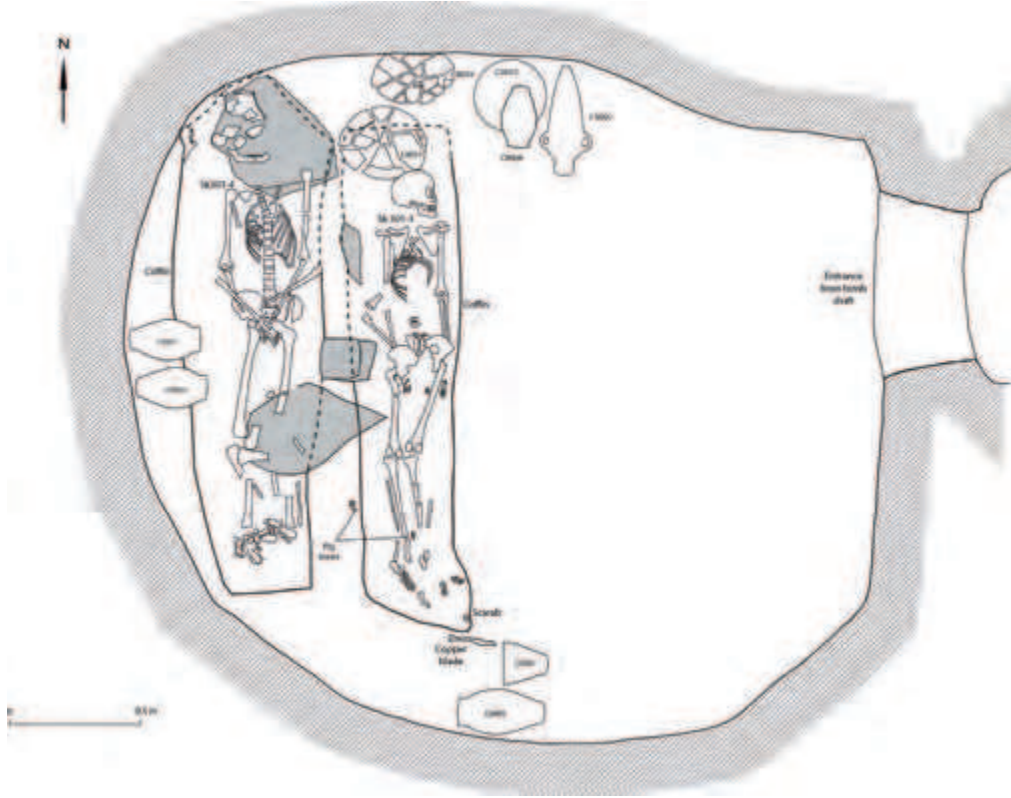
يمكن استيضاح مثل تلك التصميمات بشكل كبير في مدينة عمارة غرب من خلال ثلاثة أمثلة من مقابر عالية القوم التي تقع في أحد التجمعات عند الجزء الغربي من الجبانة (D) (G112). (G301). (G309). أهم مميزات تلك المقابر فيما يتعلق بالعناصر المعمارية الخاصة بها هو وجود تلك الغرفة الجنائزية مستطيلة الشكل. والتي تبلغ مساحتها حوالي (12-15) متر مربع. والتي تم بناؤها من قوالب الطوب المصنوعة من الطين. وقد تم إلحاق منصة صغيرة في الجانب الغربي من النفق والتي قدمت بدورها قاعدة لبناء أحد الأهرامات الصغيرة. الذي تم تشييده باستخدام طوب مصنوع من الطين أو مادة أخرى. وقد تم العثور على بناء هرمي فوق مشابه للجبانة التي اتصلت بأماكن الاستقرار الخاصة بالمصريين في الدولة الحديثة في النوبة، مثل مقابر

عينية وصاي وسيسيبي. يعكس تجاور تلك الأبنية الهرمية العلوية مدى قوة المعتقدات التي ترمز إلى الكون والموروثه من المعتقدات المصرية القديمة، بما تحويه من غرفة دفن تتجه فوهتها ناحية الشمس المشرقة من الشرق (إعادة الميلاد الرمزي) وذلك الهرم الذي يقع في الغرب والذي بدوره يرمز إلى الدخول إلى عالم الموتى. وقد تم العثور على العديد من أجزاء الأواني الفخارية موجودة على سطح الأرض في الجانب الشرقي من هذه الغرف، والتي تؤكد بدورها عملية تقديم القرابين للمتوفى من مريديه، ربما خلال طقوس عملية الدفن أو خلال الزيارات المتعددة للمتوفى من أعضاء عائلته.

وهناك نفق رأسي يقود الداخل من الصالة الرئيسية إلى حجرات الدفن، والتي تبلغ أبعادها (2.2-2.4) متر تحت سطح الأرض.

غرفة الدفن الخاصة بالمقبرة G301 مع قاعدة أحد الأهرامات الصغيرة التي كانت تعلوها من الأمام.





خريطة غرفة الدفن الغربية في المقبرة رقم G301 والتي تحوي دفنة رجل وامرأة في ثوابيت.

ففي مقابر الجبانة (D) قام البناؤون بالحفر في أديم الأساس المصنوع من صخر الشست حتى المتر الأخير من النفق وصلات الدفن. وقد تم حفر فتحات صغيرة على جوانب النفق، والتي بدورها جعلت عملية التسلق صعودا ونزولا أمرا سهلا. كانت المداخل الخاصة بالصلوات في الأصل مسدودة بملاط طيني وقوالب الطوب. ورغم ذلك فإن كل تلك الغرف تم اقتحامها بواسطة اللصوص المنقبين عن كنوز الموتى بعد فترة قصيرة من الدفن. تقع غرفة الدفن الرئيسية في الجانب الغربي من النفق، وكان مدخلها يتجه نحو الشرق. مقابلا بذلك شروق الشمس من الشرق. اتخذت كل غرف دفن إما الشكل المستطيل أو الشكل الدائري، وتغطي مساحة (5-6) متر مربع من مساحة الأرضية، وكان ارتفاعها يبلغ حوالي (80-100) سنتيمتر فقط. تم حفر غرف إضافية للدفن في الجانب الشرقي من النفق، غير أنه قد تم تقطيعها بشكل أقل عناية في صخر القاعدة. وتعتبر عملية تأريخ مثل هذه الغرف الجديدة أمرا صعبا؛ حيث تم نهبها تماما، وما تبقى لنا عبارة عن مجرد مواد متفرقة من أجزاء لأواني فخارية مهشمة، والتي تفترض بدورها أنه قد تم إضافة هذه الغرف بعد نهاية الدولة الحديثة.

وقد تم استخدام شكل مختلف من أبنية الطوب الطيني في مقبرتين أخريين في الجبانة (D)، فقد احتوت على مبنى مستطيل ذي سقف مقوّس تم وضعه داخل النفق (G101.G305)، منشئا بذلك غرفة دفن إضافية في الأسفل مباشرة. وقد تم العثور على الغرف ذات السقف المقوس التي اتخذت هذا الشكل أيضا في جبانة معاصرة في المواقع المصرية الأخرى في النوبة، مثل تومبوس. ورغم ذلك فما زال غير واضح لنا إذا ما تم استعمالها فعليا للدفن أم لا! كان يتم تجهيز المقابر ذات غرف الدفن المطمورة أو الموجودة تحت سطح الأرض أيضا بمنايريس مدفونة مملوءة بغيرين الطمي الناعم ومغطاة بأحجار الشست. تعدُّ تلك المنايريس

طقوس الدفن النوبية

ميكاللا بيندر

أصبح العديد من عناصر الثقافة المصرية الجنائزية متأصلاً بشكل عميق في الثقافة المحلية. ورغم ذلك فإن بعض الشواهد القادمة من الجبانات تؤكد بقاء الطقوس والعادات النوبية جنباً إلى جنب مع مفردات الثقافة المصرية المهيمنة.

ومع استثناء (G244) (انظر للمزيد ص 82-83)، فإن المقابر التي يتم تأريخها بالفترة التي تعاصر الاحتلال الأول للمدينة تبدو مصرية الطابع بشكل خالص. وقد أصبحت العناصر النوبية أكثر شيوعاً عند نهاية الدولة الحديثة؛ فقد عثر على ثلاث غرف للدفن في الجبانة (D) تتميز بوجود «كوم ترابي» منخفض، كما بدأ السكان في استعمال الأسرة الجنائزية جنباً إلى جنب مع التوابيت ذات الطراز المصري في عدة مقابر في كل من الجبانتين (C) و (D). وقد أصبحت هذه الأسرة أكثر العناصر الجنائزية النوبية شعبية في الفترة الوسيطة من تاريخ كرمة (2050-1750 قبل الميلاد). وبمرور الوقت فصاعداً يبدو أن ذلك السرير الجنائزي الذي يمثل النوبة القديمة مازال مستعملاً بشكل كبير

في الفترة التي تعود إلى ما قبل الاحتلال المصري للنوبة، اختلفت الطقوس الجنائزية المحلية بشكل واضح عن نظيرتها لدى جيرانها في الشمال؛ حيث تميزت المقابر بأسلوب الدفن على شكل (كومة ترابية)، وكان يتم دفن المتوفى في وضع مُنحني على جانبه، والبعض الآخر وضع جثة المتوفى على أسرة جنائزية ويتم لفها بجلود الحيوانات. وعادة ما كان يتم دفن النوبيين فرادى في حفرات بسيطة. ومع إعادة احتلال النوبة من الدولة الفرعونية مرة أخرى (حوالي 1500 قبل الميلاد)، بدأت الجبانات تُظهر العديد من الصفات المصرية، كغرف للدفن تحت الأرض تحوي دفناً لعائلات كاملة، وتصميم أهرامات علوية لكي تميز مقابر عليّة القوم، ووضع الأجساد في وضع التمديد بداخل توابيت خشبية مزخرفة.

تعكس المقابر في عمارة غرب ذلك الاتجاه العام، بشكل لا يثير الدهشة؛ حيث وقعت هذه المنطقة تحت السيطرة السياسية المصرية لأكثر من 200 عام قبل أن يتم تأسيس مدينة عمارة غرب. وقد





في السودان حتى الآن تحت اسم «عنقريب». تلك الأسرة تعكس الحقيقة التي تحمل جذورًا عميقة في الفكر الديني النوبي، والتي ترمز إلى الموت على أنه شكل من أشكال النوم العميق. تتضمن الأجزاء التي تم جمعها من مدينة عمارة غرب أطراف السرير، وأرجل السرير، وعوارض خشبية جانبية، بعض منها كان ما يزال يحتوي على أربطة الدفن.

وفي مقبرتين، تم وضع أجساد الأقراد في وضع الدفن المنحني أو «المقرّص». هذه الممارسة الجنائزية يمكن تتبعها في فترات ما قبل التاريخ في النوبة واستمرت كأحد الأوضاع المفضلة للدفن خلال كل فترات ثقافة كرمة. فقد تم العثور على تلك الدفنات المقرّصة لامرأتين وطفل جنباً إلى جنب مع الوضع الممتد للجسد في غرف الدفن. ويمكن أن يرجع ذلك إلى اختيار الفرد ذاته، أو كونه تزواج ما بين العادات النوبية والمصرية. وفي حين تعدّ أواني الطهي النوبية هي الشائعة في المدينة، إلا أن الفخار المصنوع وفقاً للتقاليد النوبية يعدّ نادر الوجود في الجبانة، رغم العثور على إناء جميل مصنوع باليد تم وضعه داخل إحدى كوات الدفن الخاصة بطفل في الجبانة (C).

وبسبب عمليات النهب وإعادة الاستعمال فإن الصورة التي نكتسبها من المفردات الثقافية القادمة إلينا من جبانة مدينة عمارة غرب تعدّ على الأرجح ناقصة. وبسبب أن العديد من الأجساد قد تم تدميرها، فمن المحتمل أن يكون تعداد الدفنات المنحنية أكثر بكثير من نظيرتها المصرية. هذا إلى جانب أن كثيراً من المواد التي تعدّ جزءاً من الطقوس الجنائزية النوبية تم صنعها من مواد عضوية سريعة التلف والتي بدورها لم تستطع الصمود أمام الزمن لتبقى لنا. ومع ذلك، فإن المقابر توضح لنا رغم أن الطقوس الجنائزية النوبية قد تم استبعادها لفترة ما داخل بعض أجزاء المجتمع، إلا أنها عادت بقوة مرة أخرى بعد نهاية الدولة الحديثة، وهو يعد نتاج توليفة مُهَيَّنة فريدة من مفردات ثقافية لها جذور في كل من النوبة ومصر.

المدفونة - التي تسمى تومولي - أحد أهم مظاهر الطقوس الجنائزية في مصر القديمة، والتي تم استعمالها خلال معظم الفترات الخاصة بتاريخ النوبة القديم. كما يعدُّ الجمع بين غرف الدفن ذات التصميم المصري مع عناصر المقبرة النوبية من أهم الأمثلة التي تؤكد التفاعل الثقافي الذي حدث في مدينة عمارة غرب (انظر للمزيد ص 82-83).

غير أن معظم المقابر التي وُجِدَت في مدينة عمارة غرب كانت ذات غرف دفن بسيطة التخطيط، ولم تتبقَّ لنا بنيتها العلوية. ويعدُّ إبراز غرفة أو غرفتين للدفن على الجانب الشرقي أو الغربي من النفق هو النسق المفضل في بناء تلك المقابر. ذلك النسق الذي استمر جيداً خلال القرن العاشر والتاسع قبل الميلاد، وبشكل خاص في الجبانة (C). تفترض الاختلافات الخاصة بكل من التجهيزات التي تم دفنها مع المتوفى والتي تشير أيضاً إلى تعداد الأفراد الذين تم وضعهم والمواقع الخاصة بالمقابر= أن هذه المقابر لم تكن مخصصة لعلية القوم. فقد تم استخدام غرف الدفن في المقابر بشكل اعتيادي لأكثر من فرد، ربما كانوا ينتمون لنفس العائلة، ولكن مع ذلك يبدو ملحوظاً أن بعض تلك المقابر الأيسر تخطيطاً قد احتوت على عدد كبير جداً من الأفراد. قد تم دفن 37 فرداً بالغاً وطفلاً في أحد الغرف. وفي أحد الأوقات خلال القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد لم يعد استعمال غرف الدفن بالشيء المفضل، وتم طرح نوع آخر من المقابر صغيرة الحجم، وأصبحت الدفنات توضع في مشكاوات صغيرة محفورة في أحد جوانب النفق الرأسي. وفي أغلب الحالات تلك المشكاوات كان يتم استعمالها لدفنة واحدة، ولكن هناك عدد قليل منها احتوت على بقايا جسدتين أو ثلاثة مدفونين مع بعضهم البعض. ويعدُّ السبب الذي يقع خلف تغيير عمارة المقبرة غير معروف؛ فالمواد التي تم وضعها في تلك المقابر كانت مشابهة لتلك التي وضعت في المقابر الأقدم والتي استخدمت بمثابة غرف للدفن.

صناديق مخصصة للموتى

كان وضع الجسد المتوفى وتحضيره وتثبيتته من أهم مظاهر الطقوس الجنائزية في مصر القديمة، وتم تخطيط كل تلك الطقوس حتى يتم التأكد من عملية البعث في حياة النعيم الأبدية. إن عمليات النهب الواسعة في الماضي البعيد والقريب (وربما في الحاضر أيضاً)، بجانب استغلال المقابر للدفن بإسراف لأكثر من عدة أجيال متتابعة = جعلت من تحليل نماذج الدفنات أمراً صعباً في مدينة عمارة غرب. ففي عدة مقابر، على الرغم من وجود بعض اللقى الأثرية، إلا أنها تعتبر غير ذات صلة بالأفراد الأصليين الذين تم دفنها معهم؛ ولذلك فنحن نفتقد العديد من المعلومات عن دلالتهم والسياق المحيط بتواجدهم في المقبرة.

عادة ما كان يتم وضع الجسد مُسجى على ظهره في وضع التمدد، متبعاً بذلك التقاليد المصرية القديمة، وقد تم العثور على آثار قماش تكفين لعدد قليل من الأفراد، ولكن يفترض وضع عناصر الهيكل

بقايا غطاء تابوت ملوّن مصوّر عليه إحدى السيدات ترتدي قرطان بلون اصفر، تم العثور عليها في غرف الدفن الغربية تحت محراب الهرم الصغير الخاص بالمقبرة (G309).



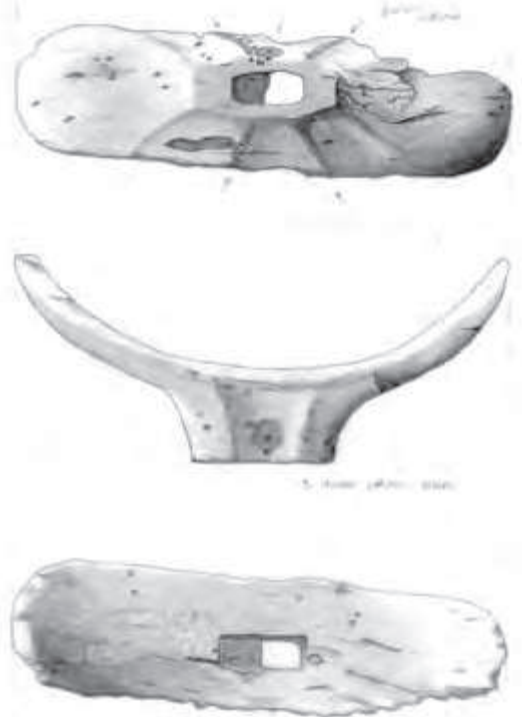
العظمي بالمقارنة مع أجساد أخرى أنها كانت ملفوفة بعناية، وسواء أكانت هناك أي مظاهر من مظاهر عملية التحنيط – مثل تجفيف الجسد، ووضع صمغ الراتنج، واستئصال بعض الأعضاء الداخلية – إلا أنه لا يمكن التأكد منها بسبب حالة الحفظ السيئة.

وقد تم رصد الدلالة الخاصة بما يتعلق بالصندوق الذي تم وضع الجسد داخله، ففي الطقوس المصرية القديمة، يمثل التابوت أهم عنصر يتم تجهيز القبر به على الإطلاق، فهو في نظر المصريين القدماء الوعاء المحسوس للجسد وفي الوقت نفسه هو الممثل الرمزي للكون الذي يحيط بالمتوفى. ويتنوع شكل وزخرفة ومواد صناعة التابوت وفقا للفترة الزمنية والحالة الاجتماعية للمتوفى، ففي عمارة غرب، كانت التوابيت الخشبية التي تم صنعها من خشب شجر الجميز هي الأكثر شيوعا في الاستخدام خلال الدولة الحديثة وما بعدها، ولكن بسبب نشاط النمل الأبيض والتراكيبات الكيميائية للتربة المحيطة، فقد أصبحوا في حالة سيئة جدا من الحفظ، ويعدُّ خشب شجر الجميز بشكل نسبي ذا درجة جودة منخفضة، ولكنه كان متاحًا بشكل كبير في المنطقة؛ ولذلك يمكن افتراض أنه قد تم صناعة تلك التوابيت محليا، وفي مصر المعاصرة لتلك الفترة في النوبة، عادة ما كانت تتخذ التوابيت شكل الإنسان المتوفى، ولكن للمرة الثانية يبدو أنه من الصعب التيقن عما إذا ما تم اتباع تلك الأنماط المصرية في عمارة غرب أم لا. ففي الجزء الداخلي والخارجي، تم تزيين التابوت بطبقة رقيقة من الملاط الأبيض الملون بالأحمر والأصفر والأسود والأزرق. وفي أغلب الحالات، ذلك الملاط المزخرف يتم اختزاله في أجزاء صغيرة من الطلاء، أغلبهم كانوا يمثلون مواضيع بسيطة، غير أنه لم يُعثر على أي كتابات هيروغليفية أو مناظر آلهة مصرية حتى الآن.

وقد تم العثور تحت أنقاض أجزاء من الأسقف المحطمة في الغرفة الغربية (G309) على أجزاء من غطاء أحد التوابيت الخاصة بامرأة شابة، ويمكن ملاحظة بعض سمات التابوت من خلال تلك البقايا الهشة لهذا الغطاء؛ حيث يبدو أن الوجه كان ملونًا بطلاء أحمر، وتم رسم غطاء للشعر باللون الأسود، بجانب حلقان للأذن صقراوان، وقد تمازجت هذه الألوان مع العفن الذي أصاب الخشب، وتبدو أن هذه الميزات تتفق مع ملامح التوابيت المصرية في العصر المتأخر من الدولة الحديثة المصنعة في مصر. غير أن الوجه يعتبر غير معتاد بالنسبة لتابوت مصري مخصص لأنثى، فهل لم يعبأ الصانع المحليون بالإرشادات المصرية، عندما يتم اختيار اللون الأحمر للرجال دون النساء، أو أن التابوت كان معدا في الأصل لدفنة رجل؟

استخدمت الثقافة الجنائزية النوبية نوعًا مختلفًا من الصناديق الجنائزية، وهو سرير الدفن، والأمثلة التي تم العثور عليها في مدينة عمارة غرب في أغلبها يرجع استخدامها إلى الفترة الأخيرة من عصر الدولة الحديثة (انظر للمزيد ص 74-75). كما تواجد نوع ثالث من الصناديق الجنائزية والذي أصبح شائعًا خلال الفترات المتأخرة من احتلال عمارة غرب؛ حيث تمت تغطية الأجساد بغطاء من نخل الدوم، وهو خشب ناعم وذو جودة رديئة جدا، وقد تركت تماما بدون أي زخارف، وبعد تحديد الشكل الخاص بها من الأمور التي يصعب التيقن منها، وفي بعض الحالات يمكن ملاحظة بقايا حبل وتناقص متدرج في حجم الصندوق من عند الرأس حتى ينتهي عند القدم، أما الدوافع التي تحدد اختيار الصندوق الجنائزي فلم يتم تفهمها بشكل كامل حتى الآن، فيعتبر استغلال الأسرة الجنائزية في الأغلب كإشارة تعبر عن التراث النوبي الثقافي، بينما ربما تعكس الصناديق المصنوعة من خشب نخل الدوم اختلافًا في الطبقة الاجتماعية أو تعكس نقص المتاح من الخشب الجيد بسبب القحط المتزايد.

رسمه تصور أجزاءً من أحد مساند الرأس التي عثر عليها في المقبرة رقم G201.



تزويد المتوفى بالمؤن

تعدُّ الأوعية الفخارية من أكثر المواد الشائعة التي يتم العثور عليها داخل الجبانات، فالتقليد الذي كان يلزم الأفراد بوضع أوانٍ تحتوي على قرايين طعام من أجل المتوفى داخل المقبرة يعدُّ جزءًا من الطقوس الجنائزية المصرية والنوبية. فأواني الجعة والأطباق التي تم تزينها بإطارات من اللون الأحمر والزمزميات كانت من الاختيارات الشائعة. كما تم العثور على أنواع قليلة جدا من النماذج الفخارية التي عُثر عليها في الجبانة أكثر من نظرائها التي عُثر عليها في المدينة؛ حيث وُجدت أوانٍ بعينها كان يتم اعتبارها بشكل واضح أكثر ملائمة للاستعمال في المقابر أكثر من غيرها. تواجدت أواني الجعة والزمزميات خلال القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد فقط. ربما كان يتم استعمالها في ممارسة طقوس الشراب خلال عملية تقديم القرابين من جماعة المتوفى. ونادرا ما كانوا يحملون أية إشارة على استعمالها قبل إيداعهم في القبر، مما قد يؤكد بدوره أنها قد تم صنعها خصيصًا لكي يتم وضعها مع المتوفى.

قدمت التماثيل الصغيرة (التي أخذت أشكال من المعبودات والجعارين) الحماية السحرية للمتوفى في العالم الآخر. فقد كان يتم وضع الجعارين المصنوعة من الخزف والعاج أو من الحجر الصابوني في أيدي المتوفى. وعادة ما كان يرمز رمز "خبري"، الاسم المصري القديم للشكل الصباحي لمعبود الشمس وهو الجعران إلى مفهوم البعث الخالد. ولكن هذه المواد كانت تستعمل أيضا في المدينة بمثابة أختام (انظر للمزيد ص 49). الحياة والموت كانا متشابكَيْن مع بعضهما البعض في المدن القديمة ومدينة عمارة غرب تعتبر احدي الأمثلة الواضحة على ذلك.

فقد تم العثور على عدد قليل من التماثيل التي صوّرت المعبودات المصرية مثل المعبود "بس" أو "أيزيس" داخل المقابر. تؤرخ تلك المقابر بشكل رئيسي الى القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد. حملت بعض هذه التماثيل، المصنوعة من الخزف أو الحجر أو العاج، إشارات دامغة على ارتدائها خلال حياة أصحابها وعلامات أخرى على إعادة تصنيعها. وهذا بدوره يطرح السؤال الذي يتعلق بإذا ما كان المعتقد المصري القديم مازال يتم اتباعه بعد مرور 500 عام من الاحتلال المصري للنوبة أم لا.

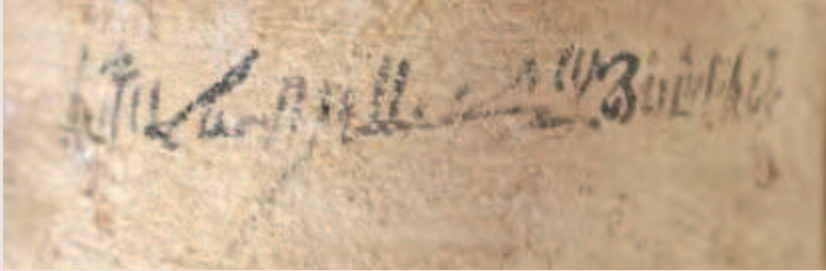
تم العثور على أنواع أخرى من سلع المقابر ولكن بعدد قليل جدا. متضمنة المصوغات (مثل عقود مصنوعة من الخرز - وحلقان الشعر والأذن) كما تضمنت أدوات تجميل (مثل شفرات الحلاقة - والمرابا - وأوعية العطور والبودرة، والامشاط). وربما يتم تبرير ذلك العدد القليل المتبقى لنا بعمليات النهب الواسعة التي تمت في المقابر، إلا أن معظم تلك الأدوات قد تم صنعها من مواد عضوية سريعة التلف، وبالتالي لم يتبق لنا منها الكثير؛ ويُفترض وجود أجزاء صغيرة من الصناديق الخشبية والسلال أنه قد تم وضعها مع بعض الدفنات أيضا. كما تم العثور على مساند الرأس في عدد من المقابر، ولكن لم يتم استعمال الأوعية الكانوبية، التي كانت تستخدم لحفظ الأحشاء الداخلية لجسم المتوفى. وكذلك تم العثور على تمثال واحد "أوشابتي" (التمائيل المجدبة) حتى الآن (وهي تماثيل للخدم تتحول إلى حقيقة في العالم الآخر لخدمة المتوفى). وهو تمثال غير مأثوف، مصنوع من الفخار، تم العثور عليه مُلقَى في نفق المقبرة رقم (301).



تمثال صغير من الطين المحروق
(صلصال) تم العثور عليه في نفق
المقبرة رقم G301.

الأصلي الذي كان يغلق الآنية، والذي ربما تم غلقه بعد عملية التخمير والتعبئة. الطين المميز (الصحراوي) الذي تم استعماله لصنع هذا القدر يفترض أن هذا الإناء وبما به من خمر قد تم استيراده من مصر. وأسلوب النقش يوضح أن العام العاشر يرمز إلى حكم الملك رمسيس الثاني، ولذلك يمكن القول بأن تلك الخمر قد تم إنتاجها حوالي 1280 قبل الميلاد. فهل تم وضعها في المقبرة من أجل المتوفى، أو أن أحدًا ما قد استمتع بشربها ووضع القنينة بجانب المتوفى؟

تم العثور في غرفة الدفن العريية التي تقع تحت الصالة العلوية وتتخذ شكل الهرم (G301) في الجبانة (D)، على أواني جعة مصفوفة، وأكواب عميقة، وإحدى قدور الخمر مدفونة بجانب رجل وامرأة راقدين في توابيتهم الخشبية. إناء الخمر (C8009) محفور عليه نقش بالخط الهيراطيقي من الخارج يقرأ كالتالي «العام العاشر، خمر ثلاثة أيام (مدة التخمير) من مزارع الكروم الخاصة بحور مس». والذي بدوره يقول لنا أن ذلك الإناء كان في الأصل يحتوي على خمر مصنوع من العنب تم زرعها في إحدى المزارع الخاصة التي يمتلكها شخص مصري يدعى حور مس. كما توجد بقايا الخمر



التفاعل الثقافي في عمارة غرب

دلائل من الجبانات

عند تأسيس مدينة عمارة غرب، كانت النوبة تُعدُّ فعلياً تحت السيطرة المصرية لأكثر من 200 عام، فربما جاء السكان الذين استقروا في عمارة غرب من المدن الفرعونية القريبة – مثل صاي او من المجتمعات النوبية المتواجدة هناك، وربما جاء بعض منهم من مصر نفسها، وكما في المدن الفرعونية الأخرى الموجودة في النوبة، كان يتم دفن المتوفى في جبانات تقع بالقرب من المدينة، ولا يتم إرجاع جثامينهم إلى بلدتهم الأصلية. تعكس المقابر بوضوح في عمارة غرب صورة أحد المجتمعات التي اتبعت الطقوس الجنائزية المصرية، على الأقل فيما يتعلق بالعمائر، ومحاولات الحفاظ على الجسد، ووضع قرابين بالمقابر لتزويد المتوفى بالمؤن. ولكن يبدو من الواضح – رغم حالات الحفاظ السيئة – أن بعض المظاهر الهامة الأساسية الخاصة بالطقوس الجنائزية المصرية كانت غائبة. هذا بالإضافة إلى تواجد عناصر من الطقوس النوبية المحلية مثل الأسرة الجنائزية أو مشكاوات الدفن التي تم الإبقاء عليها لفترات طويلة، وكانت بشكل مستمر تجاور نظيرتها المصرية، ويشير مثل ذلك التنوع في أساليب الدفن إلى درجة معقولة من حرية الاختيار لدى الأفراد، فقد أفصح فاطنو مدينة عمارة غرب عن طيف متنوع من الاختيارات الثقافية في دفن موتاهم، سواء من التقاليد المصرية أو النوبية (وكل شيء بينهما)، وهو نتاج عدة قرون من التفاعل ما بين تلك الثقافات المتجاورة، ولكن أيضاً تعكس التغيير الفعّال في طبيعة المدينة نفسها.

الكشف عن اناء من الخزف في
غرفة الدفن الخاصة بالمقبرة رقم
.G244





جعارين مزخرفة تم
وضعها مع المتوفي.

المقبرة 244: المصريون والنوبيون عند الموت

ميكالابندر

عادة ما يتم تأريخها بفترة ما بعد احتلال الجبانة - أن ممارسة عملية تبجيل السلف كانت تتم باستمرار حتى بعد أن تم إهمال الجبانة. غير أن الطبقة التي تقع أسفل سطح المقبرة تتألف من عدة غرف للدفن تم تأسيسها وفقاً للتخطيط الخاص بالمقابر المصرية. وهذا المثال يعدُّ إلى حد كبير أكثر تجمع للدفنات تم العثور عليه في مدينة عمارة غرب.

وهناك نفق يبلغ عمقه حوالي 2.80 متر يصل إلى خمس غرف دفن (انظر الصورة اسفل)؛ حيث تقع ثلاثة غرف على الجانب الغربي وأخرتان تقع على الجانب الشرقي. وقد تم دفن 20 فرداً على الأقل سواء أكانوا نساءً أو رجالاً بالغين أو أطفالاً في (G244)، ومن بينهم ذلك الرجل الشاب الذي عانى في حياته من مرض السرطان (انظر للمزيد ص 66). كانت الدفنات

كشفت الحفريات التي أقيمت في عام 2013 عما يعتقد بكونه أكثر الاكتشافات المدهشة الخاصة بمقابر مدينة عمارة غرب: G244. وهي المقبرة التي تقع على الجانب الجنوبي الغربي من الجبانة (C)، وتقدم لنا هذه المقبرة منظوراً جديداً يتعلق بتفهمنا لعملية التفاعل الثقافي الحادث في عمارة غرب خلال الدولة الحديثة، رغم عملية النهب الواسعة التي عانت منها المقبرة والمنطقة ككل.

فقد تم العثور على كومة ترابية دائرية للدفن تمتد قطر دائرتها حوالي 18 متر فوق سطح الأرض، وقد أنشئت من الطمي الغريني، وتم استخدام أحجار الشست لتحديد المقبرة؛ فهي بذلك تعدُّ أحد التماذج النوبية التقليدية. تفترض تلك الوفرة في أعداد الأواني الفخارية التي تم العثور عليها في الموقع - والتي





الموجودة بالغرف الخلفية مدمرة تماما الى حد كبير، غير أن رباحًا رميلية عاصفة قامت بالسماح للرمال بالدخول من خلال الأبواب المفتوحة في كلا الغرفتين المركزيتين، وغطت كل الجناامين في وقت قريب تلا عملية الدفن، حامية بذلك تلك الأجساد من مصادر التلف والضياع الأخرى.

تم انتشار حوالي 110 أنية فخارية، وهي بذلك أكثر المقابر التي تم العثور فيها على هذا الكرم من الفخار في مدينة عمارة غرب؛ حيث تم وضعها داخل المقبرة ويرجح انتمائها إلى الأسرة العشرين. كانت أجساد الأفراد البالغين جميعا مغطاة بأقمشة وقد تم دفنهم جميعا في توابيت خشبية تمت زخرفتها بملاط ملون. وتم تجهيز كثير من تلك الأجساد بجعارين ومصوغات مثل حلقتان من العقيق الأحمر أو دبايس للشعر. كما تم تزويد جنامين الأطفال - بشكل خاص - بأدوات جيدة الصنع مثل مشط من العاج وأسوار لليد، بجانب عصيان من العاج ربما كانت تشكل جزءا من لعبة قديمة. هذه المقبرة هي الوحيدة التي تمثل فترة الدولة الحديثة في مدينة عمارة غرب التي يتم فيها دفن الأطفال بجانب البالغين. كما تواجدت عدة لقي هامة في هذه المقبرة مثل أنيتين مصنوعتين من الخزف الجيد، وإتر من النحاس المخلوط، وعدة مساند للرأس، وبيضة نعامة تم ثقبها بحفرة لكي يتم استخدامها كإحدى الأواني.

فيما يتعلق بحجم السلع الخاصة بالمقابر وكمياتها، فهي تتساوى مع نظرائها التي عثر عليهم في المقابر الهرمية ذات الطراز المصري الخاصة بعلية القوم في عمارة غرب. وعلى الرغم من الشخصية المصرية الطاغية على التخطيط الأساسي للمقبرة، فإن المصوغات المصنوعة من العاج، وأواني بيض النعام، وحتى وجود الأطفال داخل المقبرة يؤكد ذلك التأثير النوبي إلى حد كبير. أما أسلوب الدفن باستخدام الكومة -الجزء الوحيد الذي يظهر للعيان من السطح- يوضح بشكل كبير أن هؤلاء الأفراد كانت لديهم الرغبة في أن يتم دفنهم بمقبرة تتخذ الشكل الخارجي للمقابر النوبية حتى تبقى ذكراهم كنوبيين، بينما من الداخل، تم استخدام كل الأساليب الجنائزية المصرية حتى يتم التأكد من الوصول إلى العالم الآخر سالما.

تميمة غير مألوفة

ميكالا بيندر

الأصل؛ من رأس ويطن كبير غير متناسبة مع الجسم، وذيل طويل، ولسان يتدلى من فمه، وعصابة رأس أو شعر مستعار. غير أن أسلوب تصوير الوجه يعكس ملامح إفريقية أكثر من تلك الملامح المصرية لهذا المعبود المتواجد في مصر، وهو ما يعدُّ في حد ذاته أمرًا مبدعًا ولا نظير له. فهو بجسمه بذلك كيف استطاع الفنان النوبي أن يطوع ويعيد تحوير أحد عناصر الثقافة المصرية وفقا للنمط المحلي وربما يعكس التذوق المحلي للمعبود المصري. وإذا ما كان هذا التمثال يعكس أيضا الالتزام بنظام المعتقدات المصرية أمر لا فهو أمرٌ غير معروف. وفي وقت ما، تم عمل حفرات صغيرة في الجزء السفلي من جذع التمثال؛ حيث تم تغييرها من مجرد تميمة يتم ارتداؤها حول العنق باستخدام خيط (خلال حياة صاحبها؟) إلى تلك التميمة التي يمكن تخطيطها في لباس المتوفى.

تم استخدام التماثيل الخاصة بالمعبودات المصرية التي تم العثور عليها في مدينة عمارة غرب والمواقع الأخرى التي تنتمي إلى النوبة في الدولة الحديثة بغرض الحماية، ولكي يتم ضمان المصير الجيد لملكها، وهو ما يتوافق بشكل عام مع النماذج التصويرية التقليدية المصرية.

يعدُّ العثور على إحدى التماثيل الصغيرة المصنوعة من العاج للمعبود بس (F9459)، في أحد حفرات الدفن المؤرخة بالفترة التي تلي الدولة الحديثة في الجبانة (C)، استثناءً ملحوظًا من ذلك الاتجاه العام. فقد كان المعبود «بس» عادة ما يتم اعتباره كأحد حماة أفراد المنزل، والنساء، والأطفال. وكانت تماثيل المعبودات تحتل مساحة كبيرة في نماذج الدفن. ذلك التمثال الصغير الذي يبلغ ارتفاعه 6 سنتيمترات يحوي كل السمات المألوفة لتصوير هذا المعبود المصري



خرز ملون من
القاشاني استخدم
لحراسه المتوفى.



المدينة القديمة أصبحت مجرد موقعا آثاريا

نيل سبنسر





الوصول إلى النهاية ...

الصفحة السابقة
عملية تسجيل المنزل رقم E13.5.

باستثناء مدينة بومباي (الاطيالية)، فإن معظم مدن العصر القديم وقُراها عانت في نهايتها من الموت البطيء؛ فقد كان يُعتَقَد في الماضي أن مدينة عمارة غرب فد تم هجرانها عندما فقدت مصر سيطرتها السياسية على كوش (النوبة العليا) حوالي 1070 قبل الميلاد. بني هذا الافتراض على الزعم بأن قاطني المدينة كانوا يشكل مرجح من المصريين وأرادوا الرجوع إلى مصر. وأن الغرض الأساسي من تأسيس هذه المدينة كان لكي تصبح جزءاً من مؤسسات الدولة المصرية بالنوبة لا أكثر. غير أن المرجح الآن أن التغييرات المناخية كان لها دور كبير في هجران المدينة؛ حيث طغت الصحراء على معظم أراضي الجزيرة، وأصبح من الصعب فلاحه الأراضي الزراعية، وانتقل السكان إلى الضفة المقابلة التي أصبحت بحكم طبيعتها الملائمة للسكن أكثر جاذبية للسكان (انظر للمزيد ص 90-91).

تراكم الرمال في الجهة المقابلة
لأحد المنازل الموجودة
في جزيرة «ارنتي».



هناك عجز واضح لدينا في فهم المراحل الأخيرة من عمر مدينة عمارة غرب؛ فقد أوضحت الجيانات أن السكان كان يتم دفنهم في مقابر عمارة غرب خلال القرن الثامن قبل الميلاد. وهناك قطع فخارية متناثرة على امتداد المسطح الخاص بالمدينة تنتمي لتلك الفترة. غير أنه لم يتبق شيء من العمائر التي تنتمي لتلك الفترة فهل كان هؤلاء السكان يقطنون في منازل أسلافهم التي تم بناؤها من قبل؟ أم أن تلك المنازل التي انشئت قد تم جرفها تحت رمال العواصف الرملية إضافة للمخلفات التي تنتمي لتلك الفترة. تاركة ما صنعوه من فخار وأدوات حجرية تهبط إلى طبقات أقدم تاريخياً؟ هناك سلسلة من الجدران المبنية من الحجر الجاف تقع على الحافة الغربية من المكان. يُعتَقَد أنها كل ما تبقت من أبنية تلك الفترة التي تميزت بمرج الحجر مع قوالب الطوب والطين، ولكن التاريخ الخاص بهذه الجدران ما زال يحيط به الشك.

نحن لسنا على يقين عما إذا كانت تلك المباني التي توجد مباشرة على السطح عند بداية الحفائر هي التي يمكن اعتبارها آخر المباني التي تم بناؤها واحتلالها من قبل قاطني المدينة القدماء أم لا. ولكننا نعلم أن قاطني المدينة كانوا يقاومون التزايد المستمر لعملية التصحر؛ حيث قاموا ببناء جدران واقية لكي يتم صد توغل الرمال على مداخل منازلهم (انظر للمزيد ص 92-93). بعض المناطق في المدينة تم هجرها فعلياً أو

إعادة توظيفها. أو تم إغلاقها أو تقسيمها إلى أماكن بدون أبواب. وربما حتى يمكن استعمالها كمكان مخصص لحظائر الحيوانات. ويمكننا أن نتخيل تلك المنازل المهجورة بجانب تلك المأهولة وهو أمر يمكن ملاحظته بوضوح في القرى النوبية الآن.

تعتبر المباني التي تستخدم الطوب المصنوع من الطين – والذي عادة ما يتم تصنيعه من مواد متوافرة محليا – سهلة البناء. ويمكن تغيير تخطيطها بسهولة أيضا. غير أن تلك المنازل عادة ما تتدهور بسرعة إذا ما تم نبذها أو هجرانها؛ حيث تقوم القوارض والنمل الأبيض بالتغذي على المواد العضوية المتواجدة في الأسقف (كالحصير، والخشب، وعيدان النباتات) وهو ما يجعلها تسقط مبكرا. بينما تقوم الرياح والأمطار الموسمية باضعاف سطوح الجدران. وتقوم الزوابع بما تحمله من رمال بنخر أساسات الجدران. والنتيجة المتوقعة هو انهيار المبنى. عادة ما تتسبب أيضا الأنشطة الخاصة بالحيوانات وأعشاش الطيور ومسكن الحشرات في تآكل اللقى القديمة. عندما نبدأ الحفر عادة ما نقابل ذلك التتابع المعكوس، ففي البداية نعتبر على الجدران المهدامة قبل أن نصل إلى مواد الأسقف والأرضية الأصلية للمنزل.

ويبدو أن تلك الرمال التي استمرت في التدفق والتراكم قد حافظت على المدينة للأجيال القادمة؛ فحين امتلأت الغرف والمباني حتى فوهتها بالرمال، حدثت عملية توازن. فالجدران أصبحت بذلك محمية من أي عوامل تعرية أخرى. ولا يوجد أي شيء يمكنه جذب رمال أكثر للمكان. وتسبب هذا في وجود مباني كثيرة في حالة حفظ جيدة، تحتوي على جدران تقف جميعا على نفس الارتفاع. وتقع مباشرة تحت الطبقة السطحية الحديثة.

بالطبع يخبرنا هذا النموذج من تفاعل المباني مع الطبيعة بجزء صغير من الصورة الكاملة. فعادة ما يخلق التدخّل البشري نتائج مختلفة؛ فالمنازل يمكن أن يتم تنظيفها بالكامل من أي متعلقات ويتم نقلها إلى مقر الإقامة الجديد من قبل قاطني المنزل. تاركين خلفهم فقط ما اعتقدوا بكونه غير ذي قيمة أو أشياء مكسورة أو ثقيلة الحمل أو ربما تم نسيانها أو ضياعها منهم حينها؛ فقد قام شخص ما بتكديس كل العناصر المعمارية المهدامة الخاصة بالمنزل في فناء المنزل (E12.10). فهل هذا كان جزءا من خطة لإعادة استخدامهم ولم يتح له القدر أن يفعل هذا؟

إحدى المناطق القديمة التي تم إجراء حفائر بها عام 2011، والآن أصبحت مملوءة بالكامل برمال العواصف الصحراوية.



عمارة غرب وانحسار النيل

جامي وودوارد ومارك ماكلين

الفيضان العالية. فتؤرخ أقدم طبقة من الرمال إلى عام 1270 قبل الميلاد 215، وفقا لقواعد التحفيز البصري للإشعاع الضوئي (OSL). تشير الرواسب إلى أن تلك القناة النهرية لم تكن مستمرة في ذلك الوقت. بعد ذلك قمنا بحفر أخدود على مسافة أطول وأعمق داخل تجويف القناة الجافة، وصولا إلى الحافة الخاصة بطبقة المدينة القديمة، وتحت طبقات من غرين الفيضان المخلوط بقطع الفخار ومواد عضوية متفحمة، كأثار ملقاة من المدينة المُخرَبة في النهر، قابلنا طبقات سميكة من طمي رمادي دقيق الحبيبات كانت تطفو على سطح الماء، ولم نعثر على أي مواد تنتمي للمدينة، تم ترسيبها عندما كانت القناة تفيض خلال العام.

ويتجميع التواريخ الناتجة عن تأريخ الكَربون المُشعِّع و (OSL) من المواد العضوية المتفحمة (انظرXXXX)، يمكننا الآن إعادة بناء التاريخ المحلي الخاص بالنيل في تلك المدينة. عندما تم تأسيس مدينة عمارة غرب حوالي عام 1300 قبل الميلاد، كانت تقع على جزيرة. عندما كانت القناة الشمالية تجري باستمرار. هذه القناة

يعد وجود عدد من القنوات النيلية القديمة في حالة حفظ جيدة إحدى الخصائص المميزة للملامح الطبيعية الخاصة بالأراضي المحيطة بعمارة غرب. تقع إحدى القنوات النيلية الجافة في شمال المدينة تماما، ويثير تواجدها العديد من التساؤلات الهامة التي بدورها تلعب دورا رئيسيا في تفهم طبيعة الحياة في عمارة غرب. متى أصبح توقف تدفق المياه في هذه القناة أمراً دائماً؟ هل تم تأسيس مدينة عمارة غرب على أنها جزيرة نيلية؟ هل ارتبط العزوف والهجرة عن المدينة بتوقف هذه القناة والذي أدى بدوره إلى تغيير أنماط المعيشة فيها؟

كشفت لنا حفرة دائرية عميقة قمنا بحفرها في تلك القناة النيلية الجافة في أحد الأماكن الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي من بوابة المعبد، عدة ترسيبات جيدة الحفظ من رواسب الفيضانات النيلية. فقد كان ذلك الفيضان النهري عادة ما يحمل الغرين ورمال العواصف. وهذا التدرج عادة ما يمثل فترات متقطعة من الفيضان الخاص بتلك القناة الجافة خلال



في عمق التفاصيل

المسطح الواسع لوادي النيل الذي يحوي عدة قنوات نهريّة داخله. فقد بدأنا نتفهم كيف استطاعت الإمبراطورية المصرية خلال الدولة الحديثة (1550-1070 قبل الميلاد) بناء تلك المدينة مع تعارض النظام البيئي لنهر النيل بشكل سريع التغيّر. مساقط مائية وفيضانات خطيرة في عز الصيف وتقلص وانكماش لشبكة القنوات عند حوالي 1300 قبل الميلاد. وفي عدة أماكن عندما كان النهر يجري ويتدفق في عدة قنوات خلال سهول واسعة خصبة، انخفضت تلك الفيضانات بشكل دراماتيكي مفاجئ لكي تنحصر في قناة واحدة فقط. وكان لهذه المتغيرات تأثير واضح على استغلال الأراضي التي تقع على ضفتي النهر والأماكن المتاحة للاستقرار. وينفذ المياه من تلك القنوات أصبح من العسير زراعة مساحات واسعة من الأراضي، وغرقت المدينة تحت رمال العواصف الرملية (انظر للمزيد ص 92-93).

توقف تدفق المياه فيها بعد فترة قصيرة قبل 1270 (215) قبل الميلاد؛ فيبدو أن المدينة قد تم تأسيسها في وقت يتميز بالتغيير في نظام التدفق المائي. كما يبدو أن نهاية جريان المياه وتدفقها في تلك القناة قد حدث في فترة مبكرة من تاريخ المدينة القصير. وقد عثرنا في موقع اخر في شمال السودان على دليل ثاني يؤكد أن نهر النيل قد بدأ في التقلص عند حوالي 1500 قبل الميلاد وما بعدها.

فقد كشفت الدراسات الجيومورفولوجية التي أقيمت في الصحراء التي تقع في الجزء الشمالي من مدينة عمارة غرب - عن معلومات أكثر ساعدتنا على إعادة بناء البيئة القديمة الخاصة بمدينة عمارة غرب، وهو ما أنتج لنا بدوره صورة مختلفة جدا عما نراه اليوم في المدينة. ويفترض التأريخ الأولي المنبثق من إحدى الدراسات الكبيرة للنظام الخاص بتلك القنوات المائية الجافة، في الصحراء التي تبعد حوالي 2 كيلو متر من نهر النيل الحالي، أن جزيرة عمارة غرب كانت واحدة من عدة جزر نبيلة صغيرة أخرى تواجدت على امتداد



الرمال تبتلع المدينة

مات دالتون

ما يحدث هذا الأمر عندما يتم تآكل أحد المنازل أو هدمه، وعندما يقوم الناس بإلقاء المخلفات في المساحات الخالية خارج منازلهم، أو حتى عندما تقوم الحيوانات بإلقاء مخلفاتها على أرضية الشوارع ولا يتم التنظيف خلفها. وهو ما أوضحته لنا الحفائر من خلال التحليل المورفولوجي الشفاف الدقيق والتحليل الخاص بمقاطع صغيرة الحجم باستخدام دقائق الليزر الخاصة بالنماذج التي تم جمعها من ذلك الممر ذي العمر الطويل (E13.12) داخل المدينة المسورة. كما كشفت التحاليل أيضا عن التأثيرات الخاصة بإحدى التهديدات الأكثر خطورة التي واجهت قاطني المدينة، والتي قدمت اليهم نتيجة للتغير المناخي والتصحر اللذين ضربا المنطقة خلال فترة متأخرة من تاريخ المدينة في عصر الدولة الحديثة.

حيث احتوت رواسب السكن الأخيرة في الممرات، المعاصرة لاستغلال تلك المنازل ذات التاريخ المتأخر نسبياً، بشكل كبير على حبيبات رمال العواصف الصحراوية الناعمة بشكل أكبر من الرواسب الأقدم

تم بناء أحدث المنازل التي عثرنا عليها في عمارة غرب حوالي 1160 قبل الميلاد، وقد تميزت بوجود جدران رفيعة على شكل المستطيل أو شبه الدائرة في المحيط الخارجي للأبواب الأمامية، وعادة ما كان يصاحب تلك الجدران هبوط في مستوى سطح المنزل الداخلي بالمقارنة بمستوى سطح الشارع من الخارج، وكان السكان بمثابة خط الدفاع الأول ضد الارتفاع المتدرج للرواسب المتراكمة خارج المنزل، والتي بدورها هددت بتغطية منازلهم. ولا يبدو أن تلك الجدران الأمامية كانت جزءاً من التخطيط الأساسي للمنازل. وأغلب تلك الجدران تعطي الانطباع بأنه قد تم بنائها على عجل، فعادة ما كان يتم استخدام أي من المواد المتاحة أمامهم في صناعتها مثل قوالب طوب مكسورة أو قطع أحجار كبيرة يتم اقتطاعها من عناصر معمارية أخرى تخص منازل مهجورة أو قديمة.

وقد كان يتم اعتبار ارتفاع مستوى سطح الشارع بمثابة الشيء المألوف داخل تلك التجمعات ذات الكثافة العالية من المباني المبنية من قوالب الطوب. فعادة



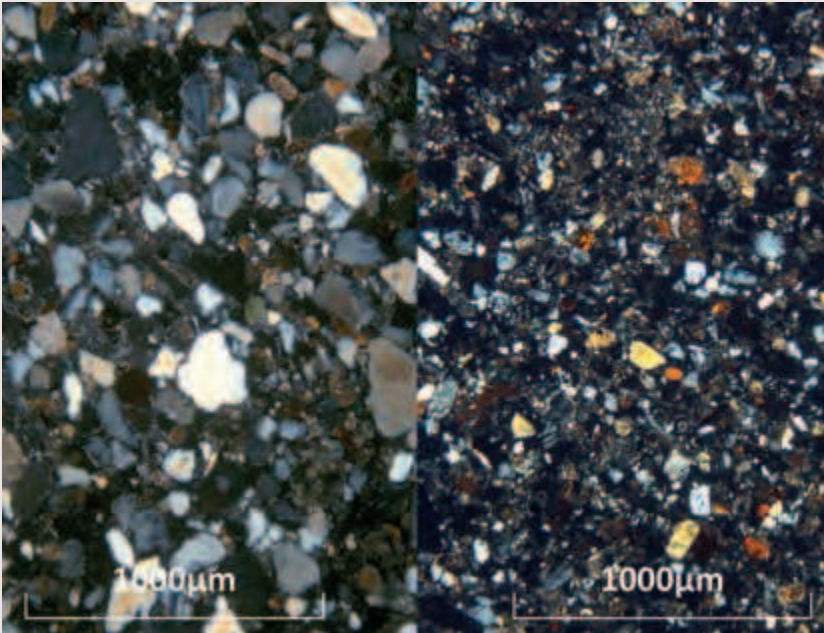
في عمق التفاصيل



تاريخياً، تصاعدياً من إحدى المعدلات الثابتة التي تبلغ 6% في الطبقات السفلى إلى 35% في المراحل الأخيرة المُتَعاقِبَة. وبما أن الرمال الناعمة لم تكن أحد المكونات المهمة في مواد البناء الخاصة بمباني عمارة غرب، فإن مثل تلك الترسبات يبدو وكأنها بالتأكيد من نتاج رواسب الرياح المحملة بالرمال والقادمة من المناطق الصحراوية، والتي مازالت تضرب وتجرف الموقع حتى الآن.

بعدُ نهر النيل أحد العوائق الطبيعية لمعظم الرياح المحملة بالرمال؛ ولذا فقد كانت هذه الترسبات الرملية عادة ما تتراكم في المنطقة التي تقع خلف القناة النيلية الشمالية، والتي عادة ما كان يصيبها الجفاف، سواء بشكل مُؤقَّت أو بشكل شبه دائم. يشير التماذج ما بين الرمال مع المخلفات إلى أن السكان كانوا مازالوا يستخدمون المدينة للسكن خلال مراحل مبكرة من تدفق كميات كبيرة من الرمال نحو المدينة. وفي الطبقات اللاحقة، تم العثور على رواسب سميكة متجانسة من رمال العواصف الصفراء، تقريباً بدون وجود أي أثر لمخلفات المدينة السكنية مختلطة مع هذه الرواسب الرملية، وهو ما يتماثل بشكل كبير مع الرواسب الرملية التي تملأ حفر الخنادق ما بين مواسم الحفائر التي نجريها في المنطقة، وذلك خلال الأيام التي تزورنا فيها الرياح الرملية العاصفة. كما تم العثور على هذه الرمال أيضاً فوق وأسفل طبقات الجدران والأسقف المنهارة في معظم منازل القرن العشرين المهجورة في مدينة عمارة غرب. والتي مثلت بدورها آخر مراحل الهجرة عن المدينة. ويمكننا القول إن تلك المباني لم يتم أبداً إعادة بنائها مرة أخرى بعد التدمير الأخير الذي حاق بها.

بعدُ هذا التدفق الرملي أحد تأثيرات فترات الإجهاد البيئي والذي بالطبع كان له أثر كبير على جعل المعيشة في تلك المدينة صعب جداً، ليس فقط فيما يتعلق بأمور الزراعة، ولكن في الحفاظ على جعل المنازل صالحة للسكن. تحمل هذه الرواسب شاهداً على كل من مقدمات هجران المدينة وفترة البند الفعلي للمدينة خلال فترة الدولة الحديثة. يدعم هذا الدليل الرأى الذي يرى أن تغيير الظروف المناخية هو ما ساهم في اتخاذ القرار الأخير بهجران عمارة غرب وليست الظروف السياسية المتقلبة.



ففي حالات أخرى، فإن المخلفات والمواد التي تم التخلص منها – والتي أصبحت فيما بعد في حياة متخصصي علم الآثار – ساعدت على اكتشاف طبقات تنتمي لقرون متأخرة. بعض تلك المواد تم التخلص منها عندما كان يتم استعمالها، والبعض الآخر أعيد استخدامها في فترات لاحقة. فمثل ذلك التدخل البشري اللاحق على اللقى الأثرية يسبب لنا الكثير من الغموض والتشابك في العصر الحديث. ويتضمن هذا التدخل البشري اقتطاع عناصر معمارية حجرية ذات قيمة من منزل أو غرفة مهجورة لكي يتم استعمالها في منزل آخر قريب. ولكن أيضا بغرض خلق مساحات جديدة داخل تلك المنازل المهجورة لإعادة توظيفها. ففي المنزل (E12.10) تم العثور على إناء فخاري ينتمي إلى العصور الوسطى على الأرضية التي تقع بجانب الدرج المبنى خلال عصر الدولة الحديثة. هذا بالإضافة إلى الاستغلال الذي تم على نطاق واسع لجدران المنازل القديمة، وبشكل خاص في النهاية الجنوبية من المدينة. حيث يبدو أن المنقبين القدماء قد اقتطعوا أجزاء كبيرة من قطع الطوب القديمة المصنوعة من الطين لكي يتم تحطيمها واستغلالها في عمل قوالب طوب جديدة. حيث كان يُعتقد أنها بذلك تصبح أقوى من الطوب الذي يتم صناعته من الطين الجاف الحديث. بلا شك مثل تلك الأنشطة التي تعيد استخدام مواد أكثر قدما تلقي الكثير من التعقيدات على مهمتنا كمختصين حفريات. فعملية تأريخ هذه الأنشطة عادة ما تكون مستحيلة؛ حيث إنها تقوم بدمج القديم مع الحديث في آن واحد. فربما نجد فخارًا ينتمي إلى العصر القديم بجانب آخر ينتمي إلى العصور الوسطى أو حتى أوائل القرن العشرين.

إعادة الاكتشاف

تم نقل أماكن المدن والجبانات والتجمعات الدينية بشكل كبير إلى الضفة المقابلة في الألفية الأولى قبل الميلاد. ويعتبر المعبد المروي الخاص بعمارة شرق أكبر مبنى أثري كان لا يزال قائما حتى انهار تماما في أواخر القرن التاسع عشر. وبقيت ذكرى عمارة غرب عالقة في أذهان قاطني المنطقة لعدة قرون حتى بعد أن دُفنت



على الشمال

صورة من أرشيف بعثة عالم
المصريات الأمريكي «بريستيد»
لنقوش الملك «رمسيس الثاني» في
معبد عمارة غرب (فبراير 1907).
مصدر الصورة: المعهد الشرقي.

«جيمس هنري بريستيد»
والعائلة يغادرون عمارة غرب
في فبراير عام 1907.
مصدر الصورة: المعهد الشرقي.

تحت الرمال؛ حيث كان يتم زيارتها من قبل هؤلاء الذين يبحثون عن كل ما غلا ثمنه وقيمته. يؤكد الفخار المؤرخ بالعصور الوسطى الذي تم العثور عليه بالقرب من ضفتي النيل في المنطقة الواقعة بالجزء الشمالي الشرقي من المدينة التي ترجع إلى عصر الدولة الحديثة= تواجّد الناس في هذه المنطقة وربما كانوا على علم بتاريخ المكان. ومع ذلك فربما أصبح فهم تاريخ الجزيرة والوظيفة التي كان منوطاً بها القيام بها ليس على درجة كبيرة من الصحة؛ حيث أصبحت عمارة غرب متعارف عليها تحت اسم ابو كنيسة. واستعمال المصطلح كنيسة في اسمها قد يحوي ضمناً أن الآثار المتبقية من العصور القديمة في هذه المدينة ترجع إلى التاريخ المسيحي. ولكن العناصر المعمارية الحجرية الموجودة في هذه المدينة القديمة يجعلها تتساوى مع جزيرة أرنتى في التاريخ القديم المديد الخاص بكل منهما والتي تقع على بعد كيلومترات قليلة.



«إعادة الاكتشاف» يبدو أنه كان يجب أن ينتظر أول تسجيل

لآثار المدينة للمرة الأولى من قبل الزائرين الأوروبيين حتى أوائل القرن العشرين. فقد تمت مشاهدة آثار النوبة وتوصيفها -من معابد فرعونية، وأهرام الحضارة المروية وغير ذلك - بواسطة الرحالة من أواخر القرن الثامن عشر. تدفع الرغبة بدخلهم تلك الروايات الكلاسيكية المستوحاة من النوبة وأثيوبيا. لم تجذب مدينة عمارة غرب التي تم هجرانها ودُفنت معظم أجزائها تحت الرمال انتباه أي من الرحالة المعروفين مثل «جوهان لودفيج بورخاردت» الذي مرّ عليها في مارس عام 1811 مُتَمَكِّراً تحت اسم الشيخ إبراهيم. ومثلما فعلت البعثة الملكية الروسية الخاصة بـ «كارل ريتشارد ليبسيوس» قام «بورخاردت» بوصف المعبد المروي فقط المتواجد على الضفة المقابلة للمدينة.

شهدت العشر سنوات الأولى من القرن العشرين زيارات مهمة لمدينة عمارة غرب من قبل ثلاثة علماء مصريين مرموقين. قاموا بتسجيل ووصف كل ما شاهده. «والس بدج» كان أول من يصل إلى مدينة عمارة غرب في ربيع عام 1905. وهو أحد أمعاء الآثار المصرية في المتحف البريطاني. وقد قام بوصف الطريق الذي سلكه كالآتي: «ضفة النهر كانت منحدره جدا، والمساحة التي كانت تفصل ما بين قمتها وحافة المياه كانت مليئة بكميات هائلة من الرمال التي كانت أقدامنا تغرس فيها حتى مفاصلنا عند كل خطوة فيها. المواقع الأثرية كانت تبعد حوالي نصف ميل عن النهر. وكانت الأرض مغطاة بطبقة سميكة من الرمل الأصفر اللامع. المنظر جميل لكن السير فيه غير مريح وعسير...» وبعد أن قام بوصف أجزاء من المعبد رجع «بدج» في اليوم التالي ومعه العمال والأدوات وقام بالكشف عن إحدى اللوحات الخاصة بالملك رمسيس الثاني في الفناء الأمامي للمعبد. وقام بعد ذلك «بعمل عدة تجارب للحفر في عدد من المواقع. ولكن لم نعث على أي شيء ذي قيمة لأخذه معنا» وهو ما يعكس بشكل كبير الغرض الأساسي من معظم تلك البعثات الأثرية المبكرة، وهو البحث عن آثار للمتاحف الغربية.

وفي فبراير عام 1907 خلال زيارته الثانية للنوبة قام العالم الأمريكي «جيمس هنري بريستيد» بالمرور على عمارة غرب في طريق عودته إلى مصر. ملاحظاً أن قاربه لا يستطيع أن يسافر أبعد من ذلك في الشمال وبشكل مرجح بسبب التنوعات الصخرية المتناثرة على طول النهر. وقد اعترف «بريستيد» بضعف إمكانيات المكان. بينما حرص على رؤية نفس اللوحة التي وصفها بدج من قبل: «فقد قمنا بتصويرها في شكل أجزاء منفصلة. وتم عمل تفرغ يدوي للنصوص والرسوم الخاصة بها. فإذا ما حدث أي تلف مفترض لهذه اللوحة فإن الكثير من تلك النقوش سوف يتم تدميرها بشكل كبير الاحتمال. ويبدو أن مثل هذا التسجيل الذي قمنا بعمله سيصبح بعد ذلك المصدر الوحيد لمعرفة الأثر كما تم العثور عليه» كما أفرد مساحة لكي ينتقد تفسيرات صنّوه «بدج» فيما يتعلق بقراءة نص اللوحة. وبعد زيارة قصيرة للمعبد المروي قام «بريستيد» ومرافقيه بالانتقال إلى إحدى قوافل الجِمال لاستكمال رحلته مع تيار النيل نحو مصر.

بينما عسكر عالم المصريين الويلزي «جرين» في عمارة غرب خلال رحلته بالنبوه في السابع عشر من

عالم المصريين «واليس بادج»
الأمين السابق للآثار في المتحف
البريطاني. الصورة ترجع إلى
عام 1906، بعد عام من زيارته
السريعة لعمارة غرب.
مصدر الصورة: المتحف البريطاني.



«فايرمان» خارج منزل بعثة
الحفائر الخاصة بالجمعية
المصرية للاستكشاف (عمارة شرق)
خلال موسم 1938-1939.
مصدر الصورة: الجمعية المصرية
للاستكشاف.



ديسمبر عام 1909. وفي مذكراته اليومية قام بوصف المعبد وذكر أن أعمدته تحمل خراطيش الملك رمسيس الثاني وقام بانتقاد حرفيّة أو مهارة العمل بكونها سيئة جدا كحال الأعمال التي تنتمي إلى عصره. وقد افترض «جرين» أن المعبد قد يحتاج على الأقل إلى أسبوعين حتى يتم تنظيفه، وهو بالطبع أقل بكثير من الوقت الفعلي الذي اتخذه تنظيف المعبد بعد زيارته بعشرات السنين!

الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي

من المعروف أن عملية التنقيب المنظمة للمدينة القديمة قد بدأت في عام 1938 عندما نقل فايرمان حفريات الجمعية المصرية للاستكشاف من سيسبي إلى عمارة غرب. كما انضم «إيستين إدواردز» الذي أصبح فيما بعد أمين قسم الآثار المصرية في المتحف البريطاني إلى فريق العمل منذ الموسم الأول من الحفريات. فعندما وصلوا إلى اليوم الرابع عشر من فبراير، قام فريق الحفريات بالكشف عن أجزاء المعبد وفتحوا عدة خنادق في الأكوام المتراكمة بالمدينة، متضمنة بذلك إحدى الحفريات التي استطاعت الوصول إلى المسطح الطبيعي القديم للجزيرة.

رجع «فايرمان» وفريقه في شتاء 1938-1939 قبل أن تبدأ الحرب العالمية الثانية في تأجيل أي حفريات أخرى في المنطقة. فقد تم تنظيف المعبد بشكل كامل خلال هذا الموسم، وتم إرسال عمال لكي ينقبوا عن المقابر في الجبانة الملحقة بالمدينة. ولم يتم تسجيل مواقع تلك المقابر بسبب العجلة التي اتبنت الفريق في نهاية الموسم. ولكن تم إعادة اكتشاف هذه المواقع مرة أخرى بواسطة مشروع الحفائر الخاص بالمتحف البريطاني في عام 2009. وقد شهدت نهاية الأربعينيات ثلاثة مواسم الحفريات، كانت الاثنان الأخيرتان تحت قيادة «بيتر شيني». وقد شهدتا حفائر منظمة في موقعين منفصلين داخل المدينة، إحداهما حول مقر إقامة النائب، والأخرى في الجزء الجنوبي من المعبد. لم يكن الدافع للحفريات بالمدينة يتعلق بالمناطق السكنية والعناصر المتبقية منها بقدر الاهتمام بالاستفادة من مخلفات الحفريات في تغطية المعبد للحفاظ عليه. ورغم أن هذا الاتجاه يستحق الإشادة إلا أن المعبد الآن مازال يقبع تحت الانقراض محميا من هبوب الرياح العاصفة وعوامل التدمير الأخرى.

كانت الحفريات الخاصة بكل من "فايرمان" و "شيني" تعبر عن الوقت الذي تمت فيه: فقد كان التركيز عادة ما ينصب على المباني والأثار مع الرغبة الحثيثة في ربط خصائصها بحدوث تاريخية وفترات الملك الحاكم حينها. ولم تضع على عاتقها الاهتمام بدراسة الأرضيات ومخلفات المنازل بشكل مفصل، وبالتأكيد فإن العديد من أساليب التحليل العلمي لم يكن قد تم تطويرها بعد. كانت حفريات الجمعية المصرية للاستكشاف (EES) ممولة من مؤسسات مكتبة، أغلبها متاحف؛ ولذلك فقد كانت هناك عدة آمال معقودة على نوعية الأثار التي يمكن الكشف عنها، وللأسف لم تستطع عمارة غرب أن تلبي تطلعاتهم؛ حيث كتب "فايرمان": "فيما يتعلق بأمر المواد التي تم العثور عليها من الحفريات فإن النتيجة كانت مخيبة للآمال جدا".

اعتمد كل من "فايرمان" و "شيني" على عدد كبير من العمال المحليين. تحت إشراف رئيس للعمال من بلدة "قفت" الواقعة بجنوب مصر. وكان منزلها يقع على الضفة المقابلة، ولكن كثيراً من العمال كانوا ينامون في أماكن تم إعدادها للإقامة المؤقتة بجانب الموقع. أحد الصبيان الذين تم توظيفهم للعمل مع البعثة برئاسة "شيني" مازال يعيش بالقرب من منزل البعثة الآن (انظر للمزيد ص 108-109). أكثر الأشياء التي ارهقت فريق البعثة هو إيجاد مشرف على العمال بينما يقوم الأثريين بتسجيل المقنيات القديمة؛ فقد اشتمكى "فايرمان" عند نهاية موسم 1938-1939 "أن بيتر فيل قد عثر على اكتشافين، وجن جنونه بسبب ذلك الاكتشاف.. أحدهما لوحة مكسورة لا تحوي أي مناظر ولكن بها نقش مكتوب بحبر أسود باهت جدا، ولم يكن لدية الوقت أو النية للعمل عليها قبل أن نذهب من الموقع". وفي نهاية الموسم، كان يتم وضع القطع الأثرية داخل صناديق ويتم شحنها بالقطار إلى الخرطوم قبل أن يتواجد أي طريق أسفلتي بفترة طويلة أو يتم شحنها بالسفن إلى إنجلترا؛ لكي يتم توزيعها على متاحف بعد ذلك.

برغم القيود التي تميز بها علم الأثار والتنقيب في منتصف القرن العشرين، فإن عمل كل من "فايرمان" و "شيني" قد عكس الآمال التي يمكن للموقع أن يقدمها لدراسات إضافية، عن طريق الكشف والحفظ الجيد لعناصر قاطني المدينة حينها، مع الوضع في الاعتبار البيئة المحيطة بهم، فقد أدرك "فايرمان" أن عمارة غرب تقبع على أنقاض مدينة قديمة، وقام بوصفها كالأثري؛ مدينة فريدة من نوعها تقدم لنا حفريات ذات هيئة وحالة لم يسبق لأي موقع حفريات مصري آخر أن قدم مثلها".

وفي اليوم الأول من عام 1950 قام بيتر شيني بمغادرة عمارة غرب، وتم بيع عربات السكك الحديدية الصغيرة التي كانت تستخدم في رفع الأنقاض وإزاحتها من الموقع الأثري إلى المشروع الفرنسي القائم في مدينة صاي، ويمكن رؤيتها حتى اليوم هناك مهجورة ويملؤها الصدأ. ولم يتم أبدا نشر حفائر الجمعية



أحد العمال يدخن سيجارة أثناء فترة الراحة في الجبانة D بعمارة غرب خلال موسم الحفائر 1947-1948. مصدر الصورة: الجمعية المصرية للاستكشاف.

المصرية للاستكشاف (EES). إلا مجرد مسودات أولية قام القائمون على الحفريات حينها بعملها. إلا أن "باتريشيا سبنسر" ما بين عامي 1997-2002 قامت بنشر عمائر المدينة والمعبد بجانب بعض الفخار والمعلومات عن الجبانة المتواجدة هناك في مجلدين. معتمدة بذلك على أرشيف الحفريات (انظر للمزيد صفحة 110-111).

وفي أوائل السبعينات تحت إشراف مصلحة الآثار السودانية. قام "أندريا فيلا" بالإشراف على سلسلة من مواسم لمعينة وفحص المنطقة الجنوبية من شلال دال. كاشفًا بذلك عن معلومات هامة تخص نظام الاستقرار السكاني في المنطقة قبل وخلال فترة الدولة الحديثة. وقد تم تخصيص أحد المجلدات لمنطقة عمارة غرب الذي قدم بدوره 53 مكانًا من تلك المواقع التي قام بمسحها (انظر للمزيد ص 22-23). كما تم القيام بعمل حفريات في بعض المواقع. متضمنًا بذلك كلا الجبانتين في عمارة غرب. وقد قام "فيلا" لاحقًا بإعادة تأريخ المقابر ونسبتها إلى فترة نباتا (القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد). ولكن حفرياتنا كشفت أن العديد منها قد تم حفرها واستعمالها للدفنات في فترة متأخرة من عصر الدولة الحديثة.

الدراسات الحالية وتعدد التخصصات في عمارة غرب

تم استئناف العمل الأثري في عمارة غرب في اليوم التاسع من شهر يناير عام 2008. كان الموقع الأثري يبدو مجددًا منذ اليوم الأول من عام 1950 ولم يتغير فيه الكثير؛ فما زال باستطاعتنا رؤية أكوام مخلفات الحفائر. والمناطق التي تم حفرها امتلأت برمال العواصف الرملية النظيفة. وبالطبع فإن الكثير من المتغيرات حدثت في أساليب الحفر المتبعة في الموقع؛ فنحن نذهب إلى الموقع الآن باستخدام قارب مجهز بمحرك. تم استفادته للمنطقة خلال فترة الثمانينات فقط. غير أن كثير من مفردات العصر الحديث قد سهلت عملية التنقيب مثل الاعتماد على الهواتف المحمولة للاتصال ما بين الموقع ومنزل البعثة، والنواصل باستخدام البريد الإلكتروني. ونشر أرشيف يومي يسجل ما يتم العثور عليه في الحفريات وعمليات التنقيب. واهتمام المشاركين في الحفريات بالحفاظ على الموقع ورعاية ما يتم استخراجة من التنقيب. فقد انصب اهتمام مصادر التمويل والمؤسسات المشاركة على أمور معرفية بحثية فقط وليس الاستحواذ على قطع أثرية ثمينة للمتاحف. غير أن هناك بعض الأشياء التي لم يصبها أي تغيير كهبوب الرياح العاصفة. وتحديات العثور على آثار في حالة حفظ جيدة، والكميات الهائلة من قطع الفخار المتفرقة التي تحتاج إلى معالجة.

غربلة المخلفات الأثرية
من المنطقة E13.



عادة ما يستغرق موسم الحفريات الخاص بنا ما بين الستة والاثني عشر أسبوعًا في وقت مبكر من بداية العام، تفاديا لقيظ الصيف ودرجة الحرارة العالية. ونحن نعمل ستة أيام في الأسبوع، وننخذ من يوم الجمعة إجازة من العمل للراحة، ويبدأ العمل في الموقع مع العمال من الساعة السابعة صباحا حتى الساعة الثانية مساءً، ويتواصل العمل في التسجيل بعد ذلك اما في الموقع أو في منزل البعثة. وبالنسبة للعمل الأثاري، فإن يوم العمل يبدو وكأنه يوم منتظم الروتين بشكل ممل في بعض الأحيان. ولكن كثيرا ما تتخلله الإثارة عند العثور على اكتشافات جديدة. فعملية الحفر تبدو لنا وكأنها رحلة سفاري تمر بها مرتين كل أسبوع قوافل الجمال في طريقها إلى مصر. ولكننا نرى التماسيح على ضفتي النهر عند العبور من الموقع نحو مقر إقامتنا. كما أود أن أبرز ذلك الإفطار الرائع الذي كنا نتشاركه مع العمال النوبيين كل يوم، كقطع الباذنجان المحمرة، "جُوراسا" قراصة (خبز مسطح من القمح)، تركين او ملوحة (سمكًا محفوظًا)، الزبادي المصنوع في المنزل، والخبز الرقيق جدا الذي يسمى "كسرة"، مع طماطم وسلطة حارة، وبالطبع فول مطبوخ بعدة طرق متنوعة.

يعتبر علم الآثار الآن في القرن الواحد والعشرين مزيجًا من الأساليب القديمة والحديثة؛ فقد تشكّلت مواسم الحفريات من نسق مدهش من مختلف التخصصات. ففي عام 2014 تم استخدام 31 متخصصًا ينتمون إلى 12 دولة في البحث عن المنازل ودراسة البقايا النباتية (انظر للمزيد ص 100-101) أو عمل نماذج مجسمة ثلاثية الأبعاد للمباني التي تم العثور عليها (انظر للمزيد ص 102-103). وبلا شك فإن هضم واستيعاب ذلك الكم الهائل من المعلومات عادة ما يستغرق سنوات؛ فموسم الحفريات في 2014 أنتج 126 جيجابايت من المعلومات، و2,489 صورة للسجل الأثاري، و2,233 صورة لما تم العثور عليه، و24,391 صورة تم استخدامها لعمل النماذج المجسمة ثلاثية الأبعاد، و4,156 صورة تم التقاطها بواسطة الطائرة الورقية. وليس كل ما عدنا به إلى لندن من السودان ينتمي إلى التكنولوجيا الحديثة. فقد أهدت الهيئة العامة للآثار والمتاحف بالسودان -مشكورة- مجموعة هياكل عظمية من حفائر الجبانة إلى المتحف البريطاني (انظر للمزيد ص 58 و 66 و ص 104-105) حيث سيصبح من المتاح للباحثين تقديم دراسات مفصلة عن البيواركيولوجي (وهو علم دراسة الإنسان وتاريخ تطوره) في منطقة وادي النيل. كما شهد موسم 2014 عودتنا بـ 589 عينات أثرية مختلفة، و176 عينة نباتية للدراسة والتحليل، والتي بلا شك ستعمل على إثراء تفهمنا لطبيعة الحياة في المدينة (انظر للمزيد ص 44-45 و ص 52-53) هذا بالإضافة إلى كم هائل من الرسومات الأثرية.



حوائط وأرضيات مصنوعة من الطين ومغطاه بالملاط وتحتوي مواضع لطحن الحبوب وتجفيف البلح داخل أحد المنازل التقليدية الموجودة في جزيرة «ارنتي».

المعيشة في مدينة ارنتي

تمازجت خبرات العمل الخاصة بنا في عمارة غرب مع أسلوب الحياة والمعيشة في ارنتي، التي تقع على بعد كيلو متر من المنطقة العليا للموقع القديم. وقد قام عالم المصريات "واليس بدج" بزيارتها عام 1950، ولكنه عبر عن خيبة أمله في عدم العثور على أي آثار بالمنطقة. وعاش فريق العمل الخاص بنا على هذه الجزيرة منذ 2008، وبداية من العام التالي كنا نعيش في منزل كبير، كان في الأصل عبارة عن عدة منازل متجاورة تم ضمهم

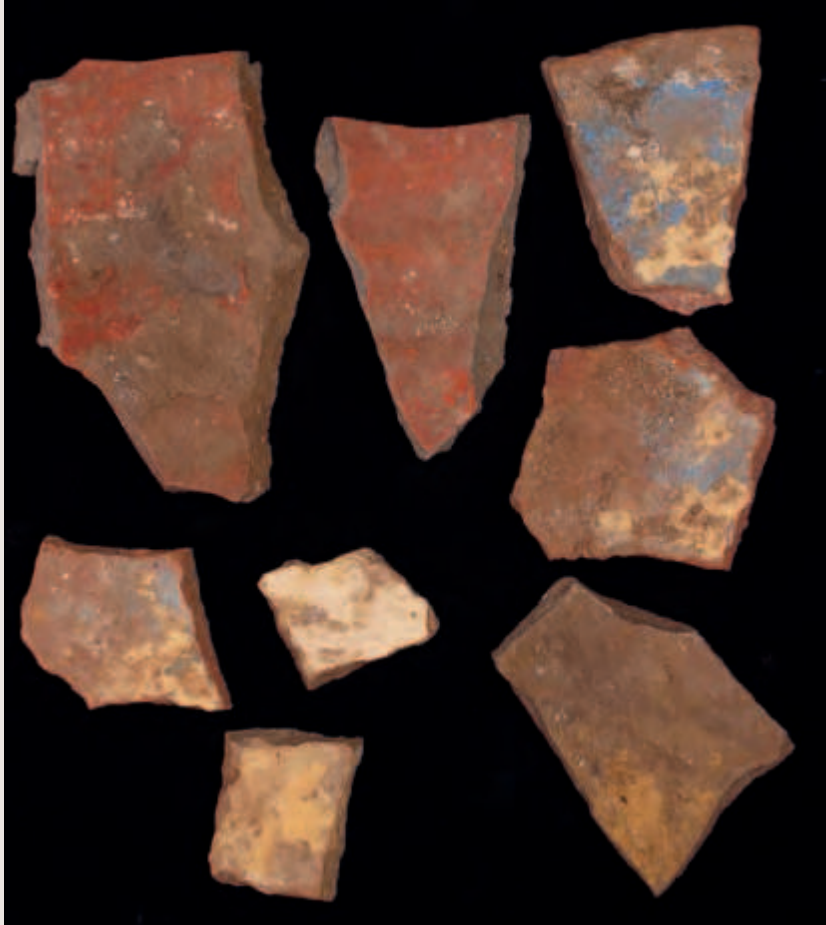
علم الألوان

كيت فولشر

والأزرق، والأخضر. كما قام قاطنو مدينة عمارة غرب بخلط مواد التلوين مع بعضها البعض لعمل اللون الرصاصي والبرتقالي، سواء الفاتح أو الغامق؛ وذلك بإضافة قليل من الأبيض والأسود.

معظم الألوان كان يتم إستخراجها من الصخور التي يتم طحنها وتحويلها إلى مسحوق باستخدام المطارق الحجرية أو أحجار الطحن، وقد تم العثور في المدينة على عدة أمثلة من تلك الأدوات التي كانت لازالت تحمل بقايا الألوان عليها. بعد ذلك كان يتم خلط المسحوق بأحد السوائل، مثل المياه أو بياض البيض الطبيعي لكي يتم تشكيل اللون الذي يمكن فرشته على الحوائط والأدوات الأخرى. وتم استعمال مواد التلوين

يعد إنتاج اللون من أجل استخدامه في زخرفة المنازل والمتعلقات الشخصية أحد الأنشطة الهامة التي استمرت ما بين سكان مدينة عمارة غرب، والتي عادة ما كانت تتطلب المعالجة باستخدام درجة حرارة عالية، هذا إلى جانب الطحن والخلط. أما أساليب معالجة اللون في ورش العمل القديمة فلم تحظ بالقدر الكافي من الدراسات والاهتمام؛ فهي يمكن أن تخبرنا أيضا عن التفاعل التجاري بين المدن والبلاد بعضها البعض. وكل الألوان التي تم استعمالها على جدران المباني في مصر القديمة والنوبة كانت مركبات غير عضوية تم طحنها وتحويلها إلى مسحوق ناعم ثم تم تحويلها إلى الشكل السائل. والألوان التي تم العثور عليها في عمارة غرب هي اللون الأبيض، والأسود، والأصفر، والأحمر،



في عمق التفاصيل

والوسيلة الثانية هو أن يتم اختبار مواد التلوين تحت الميكروسكوب المجهرى. وهو ما يمكن بدوره أن يكشف الكثير من صفاتها وكيف تم إعدادها. فقد تم تشكيل بعض مواد التلوين مثل الأزرق المصري من البلورات، والتي يمكن رؤيتها جيدا تحت الميكروسكوب. وفي المقابل فإن الصخور المطحونة تبدو مثل مسحوق ناعم جدا.

كما تم استخدام عدة أساليب تحليلية؛ ففي الموقع تم استعمال مطياف الإصدار الفلوري للأشعة السينية (pXRF) المحمول باليد؛ لقص عينات مصحوبة بإشاعات وتحليل الأشعة المنبثقة التي تستجيب لها. فمستويات الطاقة الخاصة بهذه الإشاعات تحدد العناصر الموجودة في هذه العينة. وقد احتوت بعض مواد التلوين على عناصر تأهيلية لم يكن من المتوقع تواجدها مثل العناصر الكيميائية الخاصة بمعدن النحاس (الأزرق المصري) أو الزرنيخ (ثاني كبريتيد الزرنيخ الطبيعي وزرنيخ أحمر وثالث كبريتيد الزرنيخ الطبيعي وزرنيخ أصفر). كما تم إجراء تحاليل إضافية باستخدام المسح الميكروسكوبي الإلكتروني بمعامل لندن.

المصنعة أيضا في مصر القديمة؛ كالأزرق المصري والأخضر المصفر، والتي تم صنعها باستخدام المكونات نفسها ولكن بنسب مختلفة؛ فقد كان يتم خلط الرمال (سيليكات الجير) ببرادة النحاس ورماد نباتي مع بعضهم البعض، ويتم تسخينهم في درجة حرارة عالية - حوالي 1000 درجة - وعند تلك النقطة تشكل بلورات نقية من الأزرق أو الأخضر يتم تشكيلها في طور زجاجي غير مُتبلور الشكل. وتم العثور على اللون الأزرق المصري في كسرات تم استعمالها كلوحات لخلط الألوان مع بعضها البعض في مدينة عمارة غيب. ونأمل أن تكون هناك دراسة مستقبلية تكشف لنا عما إذا كانت بقايا هذه الألوان قد تم تصنيعها في المدينة أو تم استيرادها من مصر.

ولكي يتم تحديد مواد التلوين فنحن نستخدم إحدى الطرق الناجعة، ألا وهي عيوننا. فبعض الألوان تبدو شاحبة وباهتة والأخرى تبدو لامعة ومُتوهجة، حتى درجة اللون يمكن أن تساعدنا في معرفة أي من المواد قد تم استعمالها في صناعته، فعلى سبيل المثال مواد التلوين الخاصة باللون الأصفر المصنوع من حجر «جاروسيت - jarosite النادر تعتبر أكثر بھتاناً من الأصفر الشائع المستعمل فيه التراب الصلصالي.



عمارة غرب بشكل ثلاثي الأبعاد

سوزي جرين

وقد تم أخذ ما بين 200 و 500 صورة فوتوغرافية لكل غرفة، بلغت سعة الصور الخاصة بالضاحية E13 فقط حوالي 180 جيجابايت. هذا إلى جانب صور النموذج الأولي، التي تم فيها استعمال أحد الكاميرات المحمولة بواسطة طائرة ورقية لكي يتم

تعتبر الحفريات الأثرية بمثابة العملية المُهلِكة، إذ لا يمكن تهمم الطبقات الأقدم إلا عندما نقوم بإزالة الطبقات المتأخرة عنها. مؤخرا تم توظيف أحدث تكنولوجيا متاحة لعمل نموذج مفصل ثلاثي الأبعاد للمباني في هيتها عندما تم العثور عليها؛ وذلك من أجل الحفاظ على أكثر كم ممكن من المعلومات الناتجة عن تلك الحفريات بطبقاتها المختلفة.

يعتبر المسح بالليزر والتصوير المساحي الضوئي من أكثر الأساليب شائعة الاستخدام بواسطة الأثريين لعملية التسجيل ثلاثي الأبعاد. غير أن الغبار الناعم الناتج عن العواصف الرملية والتعقيدات المعمارية جعلت استخدام معدات المسح بالليزر الكبيرة الحجم وبالباهظة التكاليف أمرًا غير عملي في مدينة عمارة غرب؛ ولذلك فقد قمنا باستعمال نوع من التصوير المساحي الضوئي والمعروف باسم « التخطيط من العلامة » - (Structure from Motion) حيث تم أخذ العديد من الصور الفوتوغرافية لوحدة الدراسة نفسها من زوايا مختلفة، كما تم إستعمال أسلوب تثلث مجسم لكي يتم تقدير وضع الكاميرات في مساحة ثلاثية الأبعاد (من أقصى اليمين)، والنتيجة تكون أحد الأشكال التي تقيم نقاط مكثفة في كل الزوايا - 'pointcloud' لإعادة بناء السطح الخاص بوحدة الدراسة. ويتم معالجة تلك النقاط مع بعضها البعض باستخدام أحد البرامج لكي يتم عمل نموذج مجسم مرئي كامل التفاصيل بناءً على الصور الضوئية التي تم تغذيته بها، والتي تمكننا بذلك أن نعيد بناء شكل مطابق للشكل الخارجي للمسطح كما كان وقت بناؤه.

تم أخذ العديد من الصور الفوتوغرافية باستخدام كاميرا رقمية محمولة باليد، والتي عادة ما تسمح للأثريين بالتحرك سريعاً، وتوفر لهم المرونة في اقتناص صور جيدة للزوايا والأشكال الأكثر صعوبة، مثل أركان غرف الدفن الخاصة بأحد المقابر. وعادة ما تغطي الرياح سريعاً الغرف التي تم اكتشافها في الحفائر بالرمل، ولذا فالسرعة هنا مطلوبة. أما أوقات الشمس الساطعة والظلال الشديدة في السودان فهي ليست بالأوقات الملائمة التي يتم فيها اقتناص صور توضح لون المسطح؛ ولذا يجب أن يتم أخذ كل الصور الفوتوغرافية قبل شروق الشمس، أو في ظلال أحد الخيمات أو المظلات أو في يوم نادر مليء بالغيوم.



في عمق التفاصيل

نحن نأمل أن يسمح مثل هذا الأسلوب في التخيل البصري للأكاريين، ليس فقط باستكمال دراسة المدينة عندما يكونوا في الموقع نفسه، ولكن أيضا يسمح للذين لا يستطيعون زيارتها بالانتقال إلى ذلك الفضاء المكاني الخاص بتلك المدينة القديمة، باستعمال مثل تلك البرامج المستخدمة في الألعاب الإلكترونية، والتي تسمح لنا بأن نتجول داخل النموذج، أو رؤيتها من أعلى. وفي نهاية المطاف، فإن ذلك النموذج ثلاثي الأبعاد يقدم لنا بيئة جديدة يمكن فيها تجميع معلومات كثيرة عن وحدات الدراسة من مباني وفخار ومراحل السكن المختلفة مع بعضها البعض حسبما نريد؛ حتى يتم إعادة تعمير مدينة عمارة غرب بالأشقة والأشياء التي جعلت منها في يوم من الأيام أحد أهم المدن النشطة في النوبة السفلى.

أخذ صور لمدينة عمارة غرب من أعلى (في الأسفل شمالا، انظر ص 11، 35). فهذا الأسلوب يسمح لنا بأخذ صور متعامدة عالية الجودة والتي يمكن استعمالها في عمل نموذج مجسم للمنطقة المحيطة، ثم يتم مسح نقاط التحكم ونقوم باستعمالها في عمل إسناد جغرافي للنموذج ثلاثي الأبعاد؛ حتى يصبح بذلك ذا مقاييس صحيحة مطابقا لمحيطه الواقعي. والنتيجة تكون تصويرًا مجسمًا ثلاثي الأبعاد لمدينة عمارة غرب والمنطقة المحيطة. تلك النماذج تحمل من التفاصيل التي تجعلها كافية أن توضح لنا هيئة كل قالب طوب، والألوان الخاصة بالمساحات المختلفة، حتى القطع الصغيرة من الفخار التي توجد أحيانا بين الجدران.



تدهور الصحة العام في الألفية الأولى قبل الميلاد

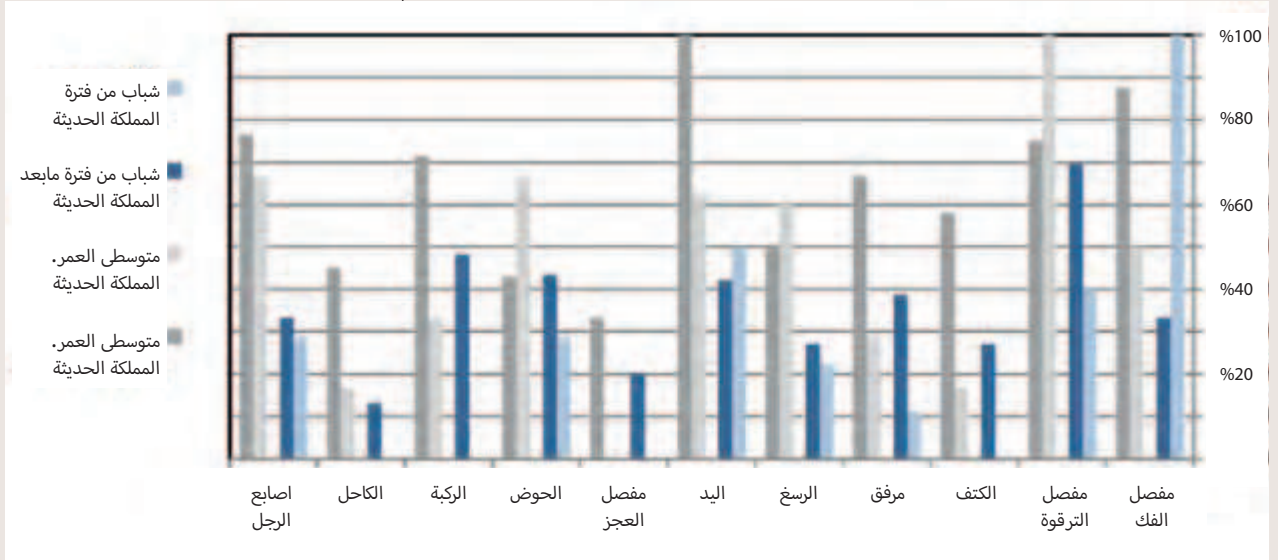
ميكالا بيندر

قبل الميلاد. فقد تم رصد عدة تغييرات في الهياكل العظمية محل الدراسة الآن. أصبحت أمراض الجهاز التنفسي من أكثر الأمراض شيوعاً خلال القرن العاشر قبل الميلاد وما بعده، وبشكل محتمل نتيجة تزايد مستويات تلوث الهواء الناتجة عن الرياح الرملية العاصفة، وهو ما تم العثور على دلائل تواجدها في الطبقات المتأخرة من حفائر الدولة الحديثة (انظر للمزيد ص 92-93). كما أن ازدياد تكرار الإصابة بداء المفاصل التنكسية خلال الفترة التي تلت مرحلة الدولة الحديثة يوضح إستنفاد النشاط الجسدي بدرجة أعلى. وربما يمكن تبرير ذلك بتغيير نمط المعيشة؛ نظام غذائي مختلف أو تزايد كثافة العمل. فوجود مناخ يتزايد جفافه الى جانب جفاف القناة النيلية الشمالية والذي تتبعه تدفق الرمال فيها

من احدى العلامات الواضحة والمتعارف عليها كتأثيرات التغير المناخي: المجاعة التي تنشأ عن نقص المحصول، وزيادة حاملي الأمراض المعدية، وزيادة أمراض الجهاز التنفسي. ويتراوح تأريخ بقايا الهياكل العظمية التي عثر عليها في عمارة غرب من وقت تأسيس المدينة عام 1300 قبل الميلاد حتى هجران المنطقة في القرن الثامن قبل الميلاد. وهي بدورها تسمح لنا أن نتفحص كيف أثرت عوامل تغير المناخ على صحة قاطني المدينة وأسلوب حياتهم على مر الزمان. ورغم أن الهياكل العظمية المستخرجة من عمارة غرب توضح بشكل قوي أن الحياة هناك لم تكن أبدا سهلة (انظر للمزيد ص 58 و 66)، إلا أن تغير المناخ قد أضاف طبقة جديدة من الصعوبات التي يواجهها قاطنو تلك المنطقة خلال فترة مبكرة من الألفية الأولى



في عمق التفاصيل



كان نهر النيل المصدر الشائع لشرب المياه العذبة لسكان مدينة عمارة غرب؛ فقد تم تحليل معدلات النظائر في طبقة المينا بالأسنان لـ 36 فردًا ممن كانوا يعيشون في الموقع خلال فترة الدولة الحديثة والفترة التي تلتها. وقد أظهرت النتائج اختلافات ذات دلالة بشكل إحصائي، بوجود ارتفاع في معدلات النظائر خلال الفترات المتأخرة. هذا التغيير ربما يعكس تغييرًا مناخيًا مصاحبًا حدث بشكل واسع في الإقليم، مع انخفاض معدلات المطر في الأقاليم الخاصة بمنابع النيل، وربما توافق مع تزايد البخر بسبب درجة الحرارة العالية التي حدثت على طول النهر. وبذلك قامت عظام وأسنان قاطني مدينة عمارة غرب بإضافة دلائل جديدة عن الصورة الناشئة الخاصة بتغيرات كبرى في المناخ البيئي حدثت في المنطقة في أواخر الألفية الثانية وأوائل الألفية الأولى قبل الميلاد.

بغزارة، أصبحت الحقول تتطلب جهدًا بدنيًا أكبر حتى تبقى مستمرة في الإنتاج. وربما يعكس تزايد مستويات المصابين بأمراض المفاصل بشكل جيد ذلك الإجهاد.

يمكن لبقايا الهياكل العظمية ان تصبح مصدر رئيسي للمعلومات الخاصة بظروف تغير المناخ من خلال تحليل نظائر الأوكسجين الثابتة في العظام والأسنان. فمتوسط نظائر الأوكسجين من 160 الى 180 في الهيكل العظمي البشري والأنسجة يعكس مكونات النظائر الممتصة من المياه التي كان يشربها الناس، والتي بدورها تنوع وفقا لمقدار مياه الأمطار، والارتفاع العمودي فوق سطح البحر، وخطوط العرض، والمناخ المحلي. عادة ما تقود درجة الحرارة العالية الى تزايد عملية التبخر الخاصة بالنظير الأخف 160 والذي بدوره يؤدي الى ارتفاع مستويات معدلات النظير. وقد



العمال عائدون إلى منازلهم بعد يوم طويل من الحفريات في عمارة غرب، فبراير عام 2014.

إلى بعضهم البعض ليشكلوا بذلك منزلًا كبيرًا يعيش ويعمل فيه كل أفراد البعثة. وكنا نترحل كل صباح باستعمال النيل حتى نصل إلى الموقع. وكانت تقدم لنا المدينة المحلية عبري كل شيء نحتاج إليه من السوق التجاري الذي يتم إقامته ثلاث مرات بالأسبوع من معدات وتجهيزات نحتاجها تتطلب نجارين وحدادين. العمال الذين تم توظيفهم في الموقع جميعًا من الجزيرة. متضمنًا ذلك الكهربائيين وعاملين البناء والممرضين وأفراد الشرطة وحتى خريجي الجامعة من تخصص الهندسة المدنية وغيرها. ولم يكن أحد لديه أي خبرة أثرية قبل أن يبدأ المشروع ولذا فقد تم تدريبهم أثناء القيام بالعمل. وعادة ما يتم التواصل بيننا بالإنجليزية والعربية ولكن تعتبر اللغة النوبية هي اللغة الرئيسية التي يستعملها العمال والقرويين.

وبشكل غير متعمد فإن اختيار جزيرة ارنتي للعيش بها قد أفادنا كثيرا في تفهم طبيعة الموقع القديم والخبرات المعيشية المتاحة والممكنة في المنطقة. وأي محاولة تحاول أن تعقد مقارنات أو موازنات بين مجتمعات تفصلها حقب كبيرة من الزمان لابد أن يتم التعامل مع نتائجها بحذر. فالتخطيط العام الخاص بالمنزل التقليدية على الجزيرة يعتبر مختلف جدا عن تلك المنازل التي كشفت عنها الحفريات في عمارة غرب؛ فقد تم بناء هذه المنازل حول فناء واسع فسيح ولا تحتوي على أي سلالمة صاعدة للأسطح أو أدوار علوية. ومع ذلك فكل منهما قد استعملتا نفس خامات البناء كالطين والنباتات. وهو ما أتاح بدوره مصدرا كبيرا للمعلومات للفائمين على الحفائر. رغم أن الحديد والأسمت أصبحتا يشكلان كبير الآن من ضروريات البناء في المنطقة. ومن خلال المعيشة في نفس الأماكن لعدة أشهر. والرجوع كل عام في نفس الوقت. اكتسبنا فهما أعمق لكيف أن الجدران - وبخاصة الأرضيات - تتآكل وتبلى مع مرور الوقت. وكيف أن الحصر الذي يتم فرشته على الأرضيات المصنوعة من الطين عادة ما يترك أثرا خلال أيام قليلة. أو نشوء طبقات ناعمة من الصلصال بفعل المياه المتناثرة. والتي تقوم بعمل طبقات قشرية داعمة على السطح الخارجي حول مواضع إزبار الماء.

كما نبهتنا الحياة داخل القرية أيضا إلى أسلوب تجاؤب السكان في التعامل مع مفردات الطبيعة المحلية. فعادة لا يترك الأهالي الحصر فوق الأرضيات. وإنما يقومون برفعها بعد الاستعمال؛ لأن العقارب تفضل الاختباء تحتها. وقد كنا نقضي معظم أوقات اليوم داخل أماكن مغطاة أو مظلمة. بسبب الشمس بشكل جزئي. ولكن أيضا للاحتماء من الرياح وبشكل أخص من موسم حشرة "نيمتي" الفارص. والذي يضرب أو يجتاح المنطقة لمدة ستة أسابيع كل عام. بعض من الغرف نادرا ما يتم استغلالها بشكل كامل. فقط عند ضيافة الزائرين. وكثير من الغرف لم تكن تحتوي على نوافذ. فالنوافذ الصغيرة كانت دائما ما تبقى مغلقة. ويصبح المصدر الوحيد للإضاءة هو الآتي من المدخل.

وفيما يتعلق بالموقع الجغرافي؛ فقد أفادتنا جزيرة ارنتي بأحوال مجاري النيل القديمة. الأماكن الزراعية المتاحة على الجزر النيلية. والتي عادة ما يتم اختيارها بعيدا عن مقاصد الرياح الشمالية التي تحمل رمال الصحاري. ورغم أن مساحة ارنتي تبدو أكبر حجما من الجزيرة القديمة عمارة غرب إلا أن عملية تشكيلهم وتكوينهم تبدو متشابهة. فكل منهما عبارة عن جزيرة من رواسب طميية مفصولة عن الضفة الشمالية بواسطة أحد الفروع النهرية الصغيرة. والذي يمكن أن يصبح مجرد مجرى سيل خلال فترات انخفاض المياه. كما توجد إحدى نقاط التوازي ما بين الجزيرتين تتعلق بالاهتمام الزائد بالمجتمعات الداخلية وأسلوب معيشتهم الحياتية لمواجهة تلك التحولات المناخية الخطيرة. غير أن التقلبات في أحوال النيل ومجاريه في جزيرة عمارة غرب أمر قد حدث من جراء الطبيعة (انظر و للمزيد ص 90-91). وظلت الطبيعة تلعب الدور الأكبر في إحداث مثل تلك التغييرات. إلا أن قاطني جزيرة ارنتي يواجهون اليوم تغييرات مختلفة في طبيعة النهر بسبب بناء سد مرووي بالقرب من الشلال الرابع. فخلال عدة سنوات قليلة. زادت عمليات التآكل والتعرية على امتداد الحواف الغربية للجزيرة بسبب ذلك التغيير. وهو ما دفع القرويين إلى تغيير أنواع المحاصيل المتاحة التي يتم تفضيلها.

إن دراسة وفهم آثار عمارة غرب قد تم تشكيلها بعد الاستفادة الهائلة التي إكتسبناها من العمل والمعيشة ما بين القرويين في جزيرة ارنتي.

عمارة غرب ما بين 1947-1950: في ذاكرة النوبيين

نيل سبنسر و شادية عبد ربه

غرب) لكي يقوموا بالحفر في المدن القديمة. وقد تم تسكين هؤلاء الرجال في خيم مصنوعة من الخشب والخيزران، بجانب مواقع الحفر في المدينة القديمة. ولكن هؤلاء الذين ينتمون ويعيشون في المنطقة نفسها، مثل محمد، كانوا يعودون الي منازلهم كل ليلة على أن يبحروا في السادسة من كل صباح باستخدام قارب نيلي صغير، من النهاية الشرقية لجزيرة «أرنتى». ويحكي محمد كيف كانت الرياح العالية تعمل على تأخير عملية العبور؛ اما الأثاريون البريطانيون فقد كانوا يتنقلون بواسطة قارب تجديف من عمارة شرق. وفي بعض الأيام كانت الرياح العالية توقف العمل تماما في الموقع، ولكن مع ذلك كان يتم دفع أجرة العمال.

كان محمد يحمل السلالم من مخلفات الحفر إلى عربات خط السكك الحديدية الضيقة التي تم استعمالها لنقل تلك المخلفات خارج أسوار المدينة، ويتذكر محمد رؤية العديد من الأحجار المنقوشة والأسرة الجنائزية والخرز والتماثيل التي خرجت من جوف الأرض. وقد كان يتم مكافأة الرجال بدفع مبلغ بسيط «بقشيش» إذا ما عثروا على قطع مميزة. أما الفخار الذي لا يتم اختياره للدراسة فقد كان يتم رميه في الكنبان الرملية

كان يغمربنا شعور بالحزن عند غروب شمس اليوم الأخير من الحفائر هكذا قال لنا العم محمد سعيد وهو يعود بذاكرة الي الزمن الجميل، فإلى جانب عثمان داود ومحمد عبدالله صالح، كان محمد سعيد واحداً من ثلاثة ينتمون إلى جزيرة «أرنتى» شاركوا في حفائر الجمعية المصرية للاستكشاف (EES) في موقع عمارة غرب تحت قيادة «فايرمان» (1947-1948) ومن بعده بيتر شيني (1948-1949، 1950-1949). وهناك شخص آخر وهو علي محمد علي الذي كان يقطن في عمارة شرق، بجانب الموقع الخاص بالمعبد المروي. ومن حسن الحظ أن محمد سعيد الذي يقطن بجوار مقر إقامتنا قد وافق - متفضلاً - على مشاركتنا ذكرياته في العمل مع البعثات الأجنبية، مقداً بذلك نظرة مختلفة جدا عن تلك التي تم تسجيلها بواسطة البعثات البريطانية ومتخصصي علوم المصريات بها.

ولد محمد في عام 1939 في جزيرة أرنتى التي مازال يعيش فيها حتى الان. في عمر العاشرة انضم محمد إلى عدد من العمال السودانيين الذين قدموا من أنحاء متفرقة من المدن والقرى النوبية، وصولاً إلى أقصى الشمال عند وادي حلفا (170 كيلومتر من عمارة





مازال يعيش في هذا المنزل حتى الآن، ورحلت فاطمة عن الدنيا مؤخراً، ولكن الزوجة الثانية لمحمد عائشة مازالت تعيش بجوارها. ومازالت لديه روابط عائلية تربطه بمدينة عمارة غرب؛ فقد عمل ابنه أمجد معنا في الجبانة (C) في عام 2009، وأحد أفراد شرطة الموقع ويدعى رامي هو ابن محمد أو ابن أخته.

ونحن نראה باستمرار اثناء تجوالنا حول الجزيرة متجهاً نحو حقول الفول والشعير والقمح والحلبة والحمص. وعادة ما يقوم بإلقاء التحية علينا ويسرد لنا ذكريات شابه مع بعثات الحفريات.

اويين أشجار الطرفة التي تقع بجانب نهر النيل. نحن قلقون الآن من ذباب النيمتي، ولكن محمداً يذكر أنهم كانوا أكثر سوءاً خلال فترة الأريبعينيات. وأكد أن ذلك الراتب الذي كان يحصل عليه كان يمثل دخلاً معقولاً لأسرته، وقد عمل أيضاً مع بعثات أخرى متضمنة بذلك موقعي بوهين وصاي.

كان محمد يقوم بمساعدة عائلته في زراعة الحقول بجزيرة «أرنتي» فيما تبقى من العام. وفي عام 1972 كان زواجه من فاطمة أحد العوامل التي دفعته الى تقليص عدد البعثات التي كان يعمل معها. وبالانتقال إلى منزل جديد بالقرب من منزل والده، أصبح اهتمام محمد منصباً على أعمال الزراعة، وهو المنزل الذي يعيش فيه الآن مع اثنتين من بناته وأحد الأبناء وثلاثة بنات أخريات كما لديه أربعة أبناء تركوا جزيرة «ارنتي» للعيش في، أماكن أخرى بالسودان والسعودية، وهو

يمكن العثور على أحدث المعلومات الخاصة بحفريات وأبحاث عمارة غرب من خلال الرابط التالي: www.britishmuseum.org/AmaraWest يتم عمل تحديث للمعلومات بشكل متصل على موقع المشروع: خلال مواسم الحفريات، عادة من شهر يناير إلى مارس من كل عام <http://blog.amarawest.britishmuseum.org>

النشر العلمي لمشروع عمارة غرب:

- Binder, M. 2011. 'The 10th–9th century BC – New Evidence from Cemetery C of Amara West', *Sudan & Nubia* 15: 39–53.
http://issuu.com/sudarchrs/docs/s_n15_binder
- Binder, M. and Roberts, C. 2014. 'Calcified structures associated with human skeletal remains: Possible atherosclerosis affecting the population buried at Amara West, Sudan (1300–800BC)', *International Journal of Paleopathology* 6: 20–9.
- Binder, M., and Spencer, N. 2014. 'The bioarchaeology of Amara West in Nubia: Investigating the impacts of political, cultural and environmental change on health and diet', in A. Fletcher, D. Antoine, and J.D. Hill (eds), *Regarding the Dead. Human Remains in the British Museum*. London: 123–36.
- Binder M., Spencer, N., and Millet, M. 2011. 'Cemetery D at Amara West: The Ramesside Period and its aftermath', *British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan* 16: 47–99. www.britishmuseum.org/research/publications/online_journals/bmsaes/issue_16/binder_spencer_millet.aspx
- Binder, M., Roberts, C., Spencer, N., Antoine, D., and Cartwright, C. 2014. 'On the antiquity of cancer: Evidence for metastatic carcinoma in a young man from ancient Nubia (c. 1200 BC)'. *PLOS One*. www.plosone.org/article/info%3Adoi%2F10.1371%2Fjournal.pone.0090924
- Spencer, N. 2009. 'Cemeteries and a late Ramesside suburb at Amara West', *Sudan & Nubia* 13: 47–61.
http://issuu.com/sudarchrs/docs/s_n13_spencer
- Spencer, N. 2010. 'Nubian architecture in an Egyptian town? Building E12.11 at Amara West', *Sudan & Nubia* 14: 15–24.
http://issuu.com/sudarchrs/docs/s_n14_spencer
- Spencer, N. 2014. 'Amara West: Considerations on urban life in occupied Kush', in J.R. Anderson and D.A. Welsby (eds), *Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies. 1–6 August 2012, London*. British Museum Publications on Egypt and Sudan 1. Leuven: 457–85.
- Spencer, N. 2014. 'Creating a neighbourhood within a changing town: Household and other agencies at Amara West in Nubia', in M. Müller (ed), *Household Studies in Complex Societies: (Micro)-Archaeological and Textual Approaches*. OIS 10. Chicago.
- Spencer, N., Macklin, M. and Woodward, J. 2012. 'Re-assessing the abandonment of Amara West: The impact of a changing Nile?', *Sudan & Nubia* 16: 37–47.

لمن يرغب في زيارة مدينة عمارة غرب، يمكنه الحصول على تصريح من رئاسة الهيئة العامة الآثار والمتاحف بالسودان سواء من الخرطوم بجانب متحف السودان القومي أو من مكتب وادي حلفا. يمكن العبور بسهولة إلى الموقع عن طريق مركب ذي محرك من مدينة "عبري". ويمكن العثور على مرسي ذلك المركب عند السوق. ويبعد الموقع حوالي أربعة كيلو متر مع التيار، ويتم الوصول إليه بعد تسلق مجهد لمنحدرات رميلة، وقد تم تسوير الأماكن الأثرية للمدينة والحياتين، غير أنه يُسمح للزوار برؤية سور المدينة والبوابة الغربية و أجزاء من منازل المدينة القديمة، بالإضافة لبعض الأجزاء المعمارية المتناثرة على السطح. ولكن لا يمكن رؤية المعبد في الوقت الحالي: حيث يقبع تحت عدة أمتار من الركام. أما الجبانة فالمتاح للرؤية ينحصر في المخطط الخارجي والمقصورات الجنائزية داخل الجبانة (D) و الجزء الأدنى من الكومة الترابية في الجبانة (C).
يتميز مركز خدمة الشرطة في الموقع بوجود شرفة مسقوفة، وضعت عليها ملصقات تحوي العديد من المعلومات عن تاريخ عمارة غرب ونتائج الأبحاث الجارية. ونحن عادة ما نطلب من الزائرين توخي الحذر خلال زيارتهم؛ حيث إن المباني المبنية من قوالب الطوب المصنوعة من الطين في المدينة القديمة من السهل جدا أن يتم تدميرها بأي تصرف غير مسؤول.

يمكن أيضا رؤية العديد القطع الأثرية الخاصة بعمارة غرب في المتاحف العالمية، وفقا للتوزيع الذي تبع الحفريات القديمة لجمعية استكشاف مصر، ويتضمن ذلك متحف الفن ببروكلين، المتحف البريطاني، ومتحف اللوفر، الي جانب متحف السودان القومي بالخرطوم الذي يحتوي العرض فية على مجموعة من القطع التي تم العثور عليها خلال حفريات المتحف البريطاني والجمعية المصرية للاستكشاف.

لمزيد من المعلومات عن المتحف البريطاني يرجى زيارة:
www.britishmuseum.org
يمكن العثور على مقتنيات المتحف البريطاني على الموقع:
www.britishmuseum.org/collection

الصور الإيضاحية
(الصفحة رقم 8) قالب مصبوب من الملاط لأحد المناظر الموجودة في معبد بيت الوالي، المتحف البريطاني، حقوق الطبع محفوظة لأمراء المتحف البريطاني.
(الصفحة رقم 10) تمثال أوشابتي من الخزف، المتحف البريطاني EA 22818، حقوق الطبع محفوظة لأمراء المتحف البريطاني.
(الصفحات رقم 14-15، 17، 97-96، 108) حقوق الطبع محفوظة لجمعية الاستكشاف المصرية (الصفحات رقم 94، 95 الصور العلوية) حقوق الطبع محفوظة لمعهد الدراسات الشرقية بشيكاغو (كل الصور الأخرى) حقوق الطبع الخاصة بها محفوظة لمشروع عمارة غرب بالمتحف البريطاني.

حقوق طبع النص محفوظة للمؤلفين 2014

تم طبع الكتاب للمرة الأولى في عام 2014 بواسطة أمراء المتحف البريطاني شارع جريت روشيل، لندن WC1B 3DG جميع الحقوق محفوظة

الكتاب مسجل في سجلات المطبوعات الخاص بالمكتبة البريطانية بلندن وأرقام التسجيل متاحة عند الطلب من المكتبة البريطانية

الرقم الدولي للكتاب (ISBN): 978 0 7141 9126 3

تم تصميم الكتاب بواسطة شركة تورشني للتصميمات تم النشر بواسطة لايمبر تريند & كوماتي ليمتيد

كما قامت الجمعية المصرية للاستكشاف (EES) بنشر أجزاء من حفائرها على الرابط التالي: (www.ees.ac.uk)

Spencer, P. 1997. *Amara West, I: The Architectural Report*. Excavation Memoir 63. London.

Spencer, P. 2002. *Amara West, II: The Cemetery and the Pottery Corpus*. Excavation Memoir 69. London.

المراجع المذكورة أدناه يمكن أن تقدم نظرة عامة عن المحتوى التاريخي والثقافي لكل الحضارتين:

Edwards, D.N. 2004. *The Nubian Past. An Archaeology of the Sudan*. London.

Smith, S.T. 2003. *Wretched Kush*. London, New York.

شكر خاص

يتم العمل الميداني في مدينة عمارة غرب تحت إشراف الهيئة العامة للآثار والمتاحف، وتقدم بشكر خاص لمفتشة الآثار شادية عبد ربه والمشاركين في العمل الميداني من مدرسة (البيواركايولوجي) علم الآثار الحيوي مفتشي الآثار محمد سعد ومرضى بشارة، كما يجب الاعتراف بالدعم الذي قُدم لنا من الخرطوم د. عبد الرحمن علي مدير عام الهيئة، الأستاذ حسن حسين إدريس المدير الأسبق و د. صلاح الدين محمد أحمد مدير المشروع القطري والحسن أحمد محمد، أمين أمانة الكشف الأثري، ومن جزيرة ارتني، يجب الاعتراف بفضل كل من منير علي صالح وأصحاب المنزل الذي نقيم فيه كوثر محمد علي ومحمد عز الدين والذين كان لهم دور جوهري في استمرار العمل الميداني، في الخرطوم نقدم الشكر لجورج باجولالتوس وعائلته وفريقه في فندق "أكروبول" والذين قدموا لنا كل سبل الراحة والمساعدة الممكنة، كما نشكر وليد عرفات "شركة ليندي للسفر والسياحة" على ما قدمه لنا من عون كبير في تسهيل التجهيزات والإمدادات عند بداية ونهاية كل موسم للحفريات.

لم تكن لنتمكن من عمل تلك الحفريات بدون التمويل السخي من جمعية لفرهولم (2010-2014)، الأكاديمية البريطانية (2009)، ومؤسسة ميخائيل شيف جيورجيني (2010، 2013، 2014) وجمعية وادي التيمز لمصر القديمة. يعدّ المشروع الآن جزءاً من المشروع الأثري بين قطر والسودان، والذي يجب الاعتراف بأن الدعم المقدم منه قد قام بتحويل مجرى البحث بشكل كامل.

وقد شارك في الحفريات والأبحاث المتعلقة بها عدد كبير من المتخصصين الذين ينتمون إلى مؤسسات علمية مختلفة؛ فبخلاف

محرري هذا الكتاب نتوجه بالشكر الخاص لماري ميلت التي قامت بالبحث في الخزف (تعمل الآن في متحف اللوفر)، وميخائيل بودون التي قامت بتحليل معدلات الاسترونشيوم ونشاطه الإشعاعي (جامعة بوردو)، وشارلوت روبرتس في (البيواركايولوجي) علم الآثار الحيوي (جامعة دورهام)، وشارلز فرينش (ميكروفولوجي - جامعة كامبريدج)، وريتشارد باركينسون للعمل على تعاليم أمون ام حات (جامعة أكسفورد)، وإين فريستون (تحليل مخلفات الطلاء - جامعة لندن)، وجون ميدوس (التأريخ باستخدام كربون 14c جامعة كيل) وهانز مومسين (تحليلات NAA - جامعة بون)، كما قام جيرمي كلوتربونك بعمل تحليل أولي لمخلفات الحيوانات، أما المسح الجيوفيزيائي فقامت به المدرسة البريطانية بروما بالمشاركة مع قسم التنقيب الأثري بجامعة ساويث هامبتون، وأبحاث الجيومورفولوجي تمت بواسطة جامعتي مانشيستر وإبريستويت، كما لا ننسى أن نتقدم بالشكر إلى الجمعية المصرية للاستكشاف (كريس ناوتن، وكارل جرافيس، وباتريشيا سبنسر) للسماح لنا باستخدام الصور الأرشيفية للحفريات القديمة.

من داخل المتحف البريطاني، فإن جزيل الشكر نتقدم به لكل من ميكاالا سباتارو، وثيباوت دافيس، وجانيت امبريز، وماري هاك، وربكا ستاسي (من قسم الترميم والبحث العملي)، كما نتقدم بجزيل الشكر لكل من كلير ماسنجر، وتانيا واتكنيس، وايفان يورك، وبشكل خاص لفيفيان دافيس لتقديمه لنا يوميات الحفريات الخاصة بالآثري جرين، ودريك ويلسبي، وجولي أندرسون، ودانيل انتوان، وشذى رشوان، ودانيل بومار (من قسم مصر القديمة والسودان)، أما كارولين جونز فهي من قامت بمراجعة النص الإنجليزي، وكارلا تورشيني (تورشيني للتصميمات) هي من قامت بتصميم الكتاب، وتمت الترجمة إلى العربية بواسطة كل من شذى رشوان وهاني رشوان، وقامت بمراجعة النسخة العربية شادية عبده ربه وتصحيح النصوص محمد سعد والكتاب منشور بواسطة ورلد إكسنت.

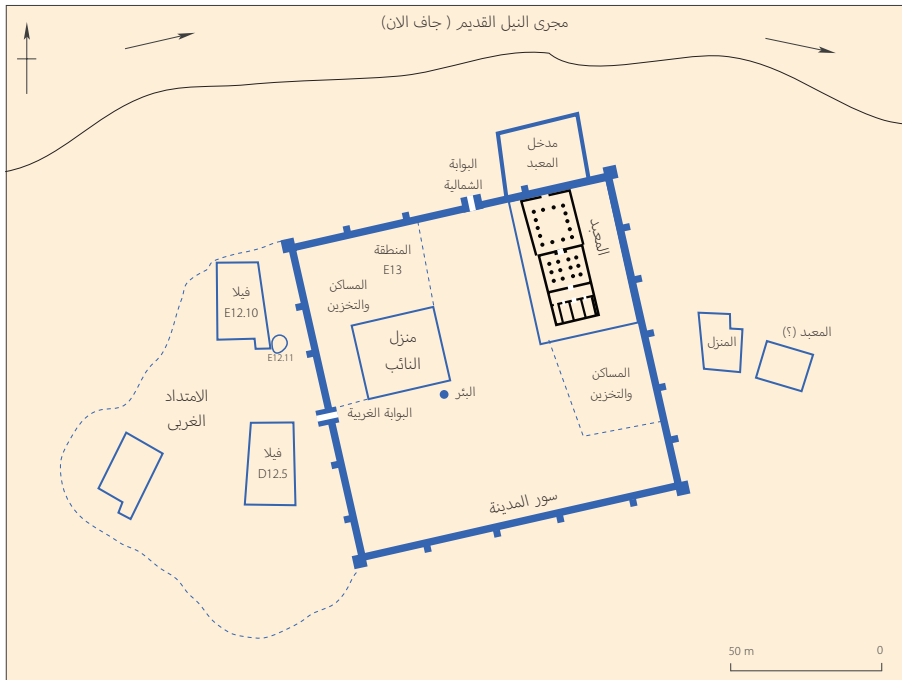
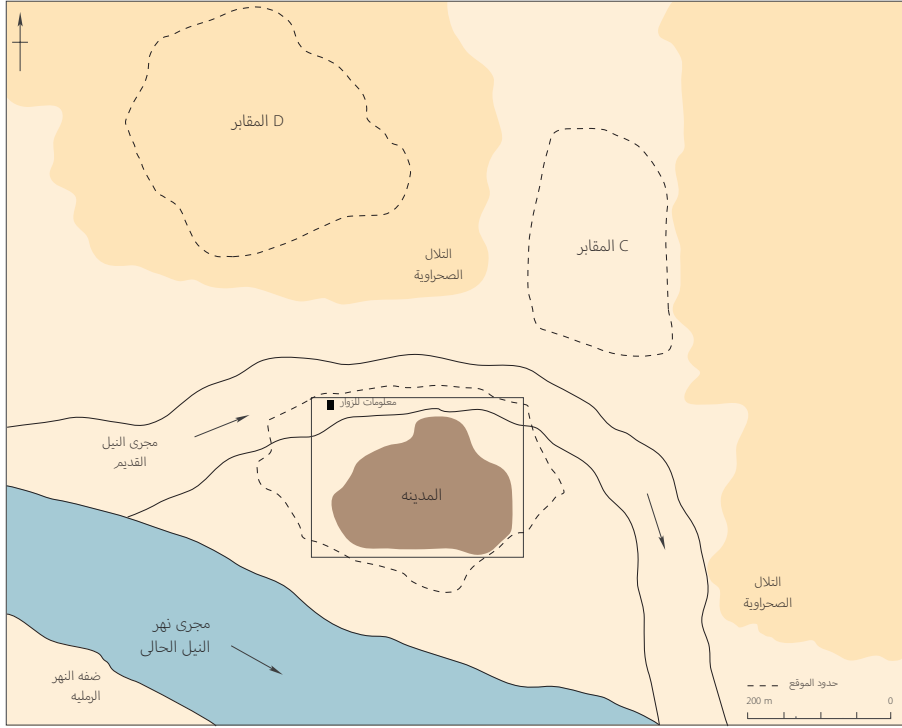
على الصورة التالية

إستمرار الحفريات أحياناً حتى المغيب في موقع عمارة غرب.



خريطة توضح مدينة عمارة غرب والمقابر

رسم توضيحي للمدينة





مدينة عمارة غرب

المعيشة في النوبة الفرعونية

في عام 1300 قبل الميلاد قامت مصر الفرعونية بإنشاء إحدى المدن الجديدة على أحد ضفتي النيل في الجزء الشمالي من السودان، تُعرف هذه المدينة الآن بعمارة غرب والتي عادة ما تذررها الرياح الرملية من وقت لآخر. ومن الواضح أنه قد تم تصميمها بعناية لكي تصبح أحد مراكز الأشراف المصرية على النوبة العليا وإنها قد إزدهرت وتنامت لأكثر من مائتي عام متواصلة. ولأهمية هذه المدينة قام المتحف البريطاني بتوظيف عدة تخصصات علمية في مشروع بحثي ضخم للعمل في الموقع منذ عام 2008، محاولين بذلك الكشف عن أساليب المعيشة في النوبة المصرية والتعرف على كيفية تفاعل سكان المدينة مع المعتقدات الدينية والروحية والأدوات التي كانوا يستخدمونها في حياتهم اليومية، وكيف كانوا يقومون بتحضير وطهي الطعام، وكيف كانت الحالة الصحية للسكان، وكيف تغيرت معالم المدينة المعمارية بمرور قرنين من الزمان منذ نشأتها، وكيف لعبت الثقافة النوبية دورا كبيرا في تشكيل الحياة داخل تلك المدينة المصرية، والتعرف على أسباب هجران المدينة. يحاول الكتاب بالأجابة عن تلك التساؤلات ان يقدم لمحة عن تشابك الثقافتين النوبية والمصرية في مظاهر الحياة اليومية عندما كانت النوبة تشكل جزءاً أصيلاً من عوامل تشكيل الأمبراطورية الثقافية الفرعونية.

